



٣٠٠٠١٤

مجلة
جامعة أم القرى
للبحوث العلمية المحكمة

العدد الرابع عشر

السنة العاشرة ، ١٤١٧ هـ (١٩٩٦ م)

رقم الإيداع ٣٣٠٣ وتاريخ ١٢/١١/١٤١٥ هـ - الرقم الدولي المعياري للدوريات ردمد: ٤٢١٦-١٣١٩- ISSN



٣٠٠٠٠١٤-١

العزلة : الفكرة والتطبيق

(دراسة شرعية نفسية)

دكتور

محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود
أستاذ الحديث المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى

ملخص البحث

العزلة غطت من أنماط السلوك الإنساني وقع في تأويله ، وتحليله ، وإدراكه خلاف عميق بين من خصه بالبحث والدراسة .

ووجدت في كتب اللغة ، وتأويل المفسرين ، والمحدثين ، وعلماء النفس ، أن الاعتزال في جانبه الأكبر له علاقة قوية بالعامل النفسي لدى الإنسان الذي له علاقة وطيدة بنشأته وتربيته .

فالذي يميل إلى العزلة طبعاً ، يختلف عن الذي يعزله المجتمع قسراً ، أو يعزل نفسه عنهم هرباً ، أو مداراة أو تفرغاً .

فالأول شعر من نفسه نوعاً من القصور الدائمي جعلها تتمحور حول نفسها ، وتكتمش حول ذاتها ، مما يحتاج معه إلى قوة خارجية تدفعه لإخراج نفسه من الدوائر المغروعة ، كالانشغال عن ذاته بالآخرين ممن حوله ، أو بما حوله من الأعمال المحيية إلى النفس .

وأما الثاني فعزله من العقوبة له ، أو هي وسيلة لنجاته عند وقوع الفتن ، أو هي حاجة ماسة لإحراز فكري ، أراد التفرغ لإقامته ، وهذا الجانب له أهمية كبيرة ، وتأثير إيجابي على حياة الإنسان ، إذ من الضرورة بين وقت وآخر أن يعتزل من حوله ، ويفرد بنفسه ، ليستجم من عناء الصخب ، وأنواع الصراعات بين البشر ، ليتأمل ، ويتفكر ، وينتج .

وأما الذي يعزل نفسه هرباً ، أو مداراة ، ويفرض على نفسه العزلة فهو في عرف علماء النفس مريض ، يحتاج إلى علاج ، لأنه يشعر بفراغ الحياة ، وعدم جديتها . ويزداد الأمر سوءاً في حقه إذا كان سقيهاً أو جاهلاً بأمور دينه إذ إن لأمور الإيمان في نفس المسلم تأثير إيجابي على نهجه ، وسلوكه . والحياة لا تخلو من منغصات ، وقد وصف الشارع الصبر علاجاً لاكثرها كما جاء في الحديث (المؤمن الذي يخالط الناس ، ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط ولا يصبر على أذاهم) .

ولعل من أبرز صفات تعاليم الدين الإسلامي ، الحث المتكرر على التآلف ، والتعاون والتآخي بين أفراد المجتمع في أكثر من مجال . فيجتمعون في المساجد كل يوم وليلة خمس مرات لأداء الصلوات ، ويوم الجمعة من كل أسبوع و صلاة العيدين من كل عام .

ويقاطر المسلمون من أنحاء مختلفة من العالم إلى مكة لأداء فريضة الحج مرة في العمر لمن استطاع إليه سبيلاً .

كل هذه المحافل العظيمة تفرج المسلمين بعضهم ببعض ، فهكون بينهم الخاطلة ، وتبادل المصالح ، والشعور بالأمن ، والاستقرار غير أن الحاجة إلى العزلة تبقى قائمة عند كثير من الناس في هذا العصر ، لتزايد المؤثرات الحسية والمعنوية عليهم ، مما يمكن اعتبار العزلة غطاءً سلوكياً علاجياً يمكن لإنسان اليوم ممارسته علاجاً لكثير من الضغوط التي تقع عليه إذا كان ذلك وفق معايير دينية واجتماعية منضبطة .

وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : (شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس) هذا وقد قيل : إن العزلة وسيلة للشعوب لا إرادية لحماية مبادئها ، وأفكارها ، ومعنى العزلة

قائم في أغلب تصرفات الجماعات .

والله أعلم . وصلى الله على نبينا محمد .

مقدمة :

الحمد لله المتفرد بالكمال والجلال . والصلاة والسلام على نبيه الإمام ،

أما بعد :

فإن الرغبة في الخلود إلى الراحة ، وأن يخلو الإنسان بنفسه بالانقطاع عن مجتمعه ، ومن حوله ، وما يشغله من أمور شتى في حياته ، مطلب إنساني تابع عن حاجة النفس البشرية إلى السكون ، والهدوء . فإن الحركة الدائبة ، المستمرة ، من شأنها إتلاف كثير من مكونات الإنسان الأساسية . لذا - والله أعلم - أمضى الله سنته على أكثر خلقه ، بقضاء جزء كبير من مدة عيشه على الأرض نائمين .

والنوم انقطاع شبه تام للذات الإنسانية عن غيرها ، وانعزال حسي عن الآخرين ، بل هو حالة وفاة تفارق فيه الروح الجسد ، فيمسك الله التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى كما قال تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ الزمر آية/٤٢ .

فالنوم يحتاجه المخلوق لنموه وتماسكه ، ليدبّ على الأرض بنشاط وحيوية . فكأنه عزلة قسرية فرضت على الإنسان ، لطفاً من الله به ورحمة .

وكلما كثرت حاجة الإنسان إلى التفكير ، والتدبر ، كثرت حاجته إلى الانفراد ، والعزلة ، كما وقع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته . فقد نفر من عادات قومه الجاهلية ، وكان همّه معرفة الحقيقة ، وكشف الصلة بين

المخالق والمخلوق ، فعمد إلى غار في جبل حراء يطل على الكعبة عن بعد ، وهو في ضاحية مكة الشرقية ، بعيد عن العمران ، وما حوله خلاء . قضى في ذلك الموضع النائي أياما ، يتأمل ، ويتدبر حتى نزل عليه الوحي ، فكان بداية عهد جديد للبشرية على الأرض . فالعزلة كما قال أحدهم : " هي معينة لمن أراد نظرا في علم ، أو إثارة لدفين رأي ، واستنباطا لحكمة " قال : ومخالطة الناس ملهأة ومشغلة " (١) .

والإنسان السوي لا يكاد ينقطع عن التأمل ، والتفكير ، والتدبر ، بل قد يصل هذا في حق المسلم إلى عبادة ، ترسخ مفهوم الإيمان بالله تعالى في نفسه ، ومطلق قدرته - جل وعلا - وبديع صنعه في مخلوقاته . فما من شيء حولنا وفي أنفسنا إلا وفيه آية على عظمة الله ، ووحدانيته ولا يدرك ذلك إلا التأمل . وقد امتهن الأنبياء جميعا قبل بعثهم رعي الغنم ، كما بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : " ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم " فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال : " نعم ، كنت أراها على قراريط لأهل مكة " (٢) .

وإمهنة الرعي ، تفسح مجالا واسعا لصاحبها يتأمل فيه ما حوله ، ويتفكر فيما يرى ، بدءاً بنفسه ، وماشيته ، وانتهاءً بالكون الفسيح ، المحيط به . وذلك يتلاءم مع طبيعة الغنم بخلاف الأبل ، فمعها يكون السكون التام ، والصمت المطبق ، والخلوص إلى ضاحية المدينة بعيداً عن صخب الحياة ومعزكها . وفي سيرها الهوينى ترك مجالا واسعا لراعيها يتنقل ، ويتلفت ، ويشاهد ، ويقارن . وفي شريعتنا الغراء ما يقدر للعزلة قدرها عند نشوب الفتن ، واختلاط الحابل بالنابل ، مما يحتاج معه المؤمن إلى توقي الخدر في كل ما يصدر عنه من قول أو فعل أو إقرار . ولا يتأتى له ذلك إلا بالرجوع إلى ما يرضي الله ورسوله من

قول وعمل ، يفرّ بدينه منها إلى الله ، ويتمنى حسن خاتمة له ، باعتزال مواطن الفتنة ودواعيها ، وأسبابها ، مما يجعل الحاجة إلى التدبر بعيداً عن فروقات الآراء ، والأهواء ، ملحّة ، فيخلو بنفسه طلباً للنجاة . ولا نجاة من فتنة القول أو العمل إلا بالحد والتقليل منهما ، والاكتفاء بالأخذ بصالحهما ، ويصعب على كثير من الناس فعل ذلك مع الخلطة . فكان الاعتزال خير عون له على تحقيق ذلك . ومعترك الحياة اليوم لا يكاد يبقى على الإنسان الملتزم حلاً صالحاً يظل فيه مهتدياً ، وملتزماً بقواعد دينه ، إلا بشقّ الأنفس . فكل ما حوله يغيره بالأخذ بأسباب الحياة المادية ، الطاحنة ، التي لا تهدأ ساعة ، ويكون ذلك في الغالب على حساب آخرته ، وما يمكن أن يأتي به من أعمال صالحة تقربه إلى الفوز بنعيمها ، رحمة من الله وفضلاً . فيستهلك رصيده في الحياة الدنيا على حساب رصيده في الآخرة ، فيقع عليه الغبن عند عرض الأعمال ، وتصنيف الخلائق إلى شقي وسعيد ﴿ والعصر ، إنّ الإنسان لفي خسر ، إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصّبر ﴾ العصر/ ١-٣ .

وفي تعاليم ديننا الخفيف ما ينير للمسلم المتعقل طريقه في الحياة الدنيا ، هدياً ، وإرشاداً للتي هي أقوم . وقد أدرك أنه فيها عابر سبيل ، يمضي إلى مستقره . وهو مطالب بعمارة الأرض ، والأخذ بالأسباب ، والمسببات ، والسعي في مناكبها ، التي جعلها الله له سبلاً وفجاجاً . ومن أبرز قواعد ديننا الخفيف ، التي تمكن المسلم من حفظ توازنه في الحياة الدنيا ، قاعدة الأخذ بالوسطية ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقترؤا وكان بين ذلك قواماً ﴾ الفرقان / ٦٧ وقال تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ... ﴾ الإسراء ٢٩ .

فالمسلم بمقدوره أن يوازن بين عيشه ، وسلوكه ، فلا يقبل إلا الحلال في العيش ، ولا يسلك لذلك إلا ما أباحه الله له ، ونيبه . فمن استطاع أن يمسك بالعصا من وسطها فقد فقه " فإن الإغراق في كل شيء مدموم ، وخير الأمور أوسطها . وقيل : ما أمر الله عباده بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان : فإما إلى غلو ، وإما إلى تقصير ، فبأيهما ظفر قنع " (٣) .

والعزلة ليست شرّاً محضاً ، ولا خيراً محضاً . وهي ليست غاية في نفسها وإنما هي وسيلة للوصول إلى الغاية . وهي النجاة بالنفس من أسباب العذاب يوم القيامة ، لمن خاف على نفسه أثر الفتن . والعزلة كما وصفها الإمام الخطابي " تنقسم إلى فرقتين - بضم الفاء المعجمة - الفرقة الأولى : فرقة الآراء ، والأديان . والفرقة الثانية : فرقة الأشخاص والأبدان . فالأولى أمرها محذور في العقل ، محرم في قضايا الأصول لأنه داعية الضلال . ولو ترك الناس متفرقين لتفرقت الآراء ، والنحل ، وكثرت الأديان ، والممل .

والجاهلية لم يكن لهم إمام يجمعهم على دين ، ويتألفهم على رأي واحد .
والثانية تابعة للحاجة ، وجارية مع المصلحة " . أ. هـ (٤) .

ومما دفعني إلى الكتابة في موضوع العزلة ، ومفهوم الاعتزال ، وأسبابه ونتائجه ، ما أكاد أجزم بأن الأغلبية من ذوي العقول ، والمدارك السليمة يوافقني عليه ، ألا وهو فساد اللّحم بين أكثر الناس اليوم في معاملاتهم ، وعلاقاتهم واستساغة النفاق لمن يملك منفعة تعود عليهم بفائدة مادية . وتغلب الجانب المادي على الجانب الأخوي ، والإيماني ، فباع بعضهم دينه بعرض من الدنيا . وبخس بعضهم بضاعة الذين يرجون وجه الله فيما يصدر عنهم .

وذهب أهل الذنور - إلا من رحم الله - بالأخذ بأنواع شتى ،
ومسميات كثيرة للربا ، فأصبح مستساغاً عندهم ، ولا يكاد أحدهم يدفع
الزكاة طيبة بها نفسه ، وراضية ، ويأكل الربا . وظهر التنافس على الدنيا ،
والفساد في الأرض بما كسبت أيدي الناس ، وتفشى الكذب ، وضعف
الرجال . وتحكم النساء في كثير من مظاهر الحياة . وأصبح تعلم العلم لا للعمل
به ، بل لكسب العيش . والوصول إلى المناصب ، وغرض من الدنيا . وأصبح
من العسير التمييز بين الصادق ، والكاذب في المعاملات ، في بيع وشراء ،
وشهادة وادعاء ، وبين المظهر والمخبر . وإن كنت ضعيف الإرادة لا تقوى على
كبح جماح نفسك الأمانة بالسوء ، وتحشى على حالك الوقوع في شيء من
تلك الصفات ، أو محاولة تخليص نفسك مما وقعت فيه ، فماذا يمكن أن تفعل ،
وقد أدركك الله برحمته ، وأيقظ فيك ضميرك ؟

أقرب الحلول في نظري هي أن تحاول - ولو مرة في اليوم - أن تخلو
بنفسك بعيداً عن أكثر مؤثرات المجتمع ، تحاسبها وتواجهها بعيوبها ، وتحذرنا
من مغبة أعمالها المعوجة ، وتذكرها بهفواتها ، وسقطاتها .

فإن وجد مثل هذا الرقيب المستمر ، صار كفيلاً بالحد من سقطات
اللسان ، وأفعال الجوارح في غير مرضاة الله ، والاستزادة من خصال الخير .
فالإنسان لا يؤخذ بما هم به إلا أن يقول ، أو يفعل . فعندما تختلج في صدرك
رغبة فعل المعصية ، فهو حديث نفس ، حتى وإن بلغ ذلك سؤالك في نفسك
عن خلق الله !! فلا تسأل عنه ، ولا تكتب عليك معصية . وكنت أتحسّس
بأحلامي ، وخواطري طريق النجاة في الحياة الدنيا ، ولا أدعي العصمة لنفسي ،

أو نخلو حالتنا من المعاصي ، والآثام ، ولكنها الحشية من الاستمرار في ذلك ، والإكثار منه . وقد علمت أن الحسنات يذهب السيئات ، ولا سبيل إلى ذلك بالرضا بالمكارة . فالنار محفوفة بالشهوات ، والجنة بالمكارة ، كما جاء معناه في الحديث النبوي (٥) .

فلزوم المكان ، والانفراد بالنفس عن صحب الحياة ، وضجيجها ، وعشاقها بشكل دوري كفيف - مع توفيق الله - يجعل كفة الحسنات ترجح على كفة السيئات . وكل ميسر لما خلق له ، فليس بين الناس من يقطع لنفسه النجاة بعمله حتى أنبياء الله ، صفوة الله من خلقه ، إلا أن يتعمد الله الجميع برحمته (٦) .

الفصل الأول : تعريف العزلة وأنواعها

المبحث الأول : تعريف العزلة

تأتي مادة عزل في اللغة للدلالة على المفارقة الدائمة ، أو المؤقتة ، حسيًا أو معنويًا . يقال : اعتزل فلان فلانا ، بمعنى فارقه ، واستقل بنفسه عنه في الرأي ، أو في المعيشة أو فيهما معا .

وتحى عنه ، وتحى منه جانبا بمعنى : أتخذ لنفسه دونه مكانا ، واستقل عنه . وفلان معزال - بكسر أوله - إذا استبد برأيه ، وإذا كان مع القوم ينزل وحده . والأعزل من الرمال ، ما انعزل عنها ، أي : انقطع ، وتعزلت البيت ، واعتزلته ، بمعنى : فارقته (٧) .

وأما في الاصطلاح ، فالعزلة ، هي الخروج عن مخالطة الخلق بالانزواء ، والانقطاع (٨) .

وقد يصطلح الناس في المجتمع الواحد على تسمية المستقل بشتون حياته الخاصة ، والعامية ، استقلالاً شبه كامل : انعزاليا . لمفارقتهم إيّاهم في كثير من شئون الحياة المعتادة ، وعدم مخالطتهم في المناسبات ، في الأفراح وغيرها . والدوافع إلى ذلك كثيرة ، ومختلفة ، سواء كانت في مجال العمل أو في مجال التفكير ، والآراء . وهذا المفهوم للعزلة يمكن أن يطلق على الواحد ، وعلى الجماعة . ويمكن أن يوصف بالاعتزال كل من يأتي بما يمكن أن يخالف مفهوم الاختلاط ، والاندماج . والنسبة في ذلك تختلف في مقدارها ، صعوداً وهبوطاً بين شخص وآخر ، وبين أمة وأخرى . فكل سلوك يظهر صاحبه ، أو أصحابه ،

وكانهم على هامش حياة المجتمع الذي يعيشون فيه ، فلا يحضرون مناسبات أفراده ، ولا يذكرون في الملمات ، يمكن أن يسمى صاحبه انعزالياً .

وعند الأخذ بالرأي القائل : الإنسان اجتماعي بطبعه ، ويقصد به ، انتماؤه المادي ، والمعنوي إلى الجماعة ، نتبين أن من يميل إلى العزلة ، قد تطبع بها لأسباب لها صلة وثيقة بنشأته الأولى ، إلا ما كان بسبب حادث مفاجئ تعرض له في إحدى مراحل حياته المتقدمة ، أو المتأخرة . وطبيعة الإنسان الاجتماعية فرضتها حاجاته الفطرية ، إلى الطعام ، والشراب ، والمأوى ، والملاد ، والحماية ، وإشباع الغرائز المختلفة عنده .

ومن حكمة الله تعالى في خلقه ، أنه فرق بين قدراتهم ، ومقدراتهم ، فأعطى هذا ما حرمه ذلك ، ورزق أولئك ما صرفه عن هؤلاء ، وبذلك تتبادل المصالح ، وتكون دولا بين الناس . فلا يمكن بحال أن يستطيع إنسان الاستقلال التام ، الشامل عن الآخرين في متطلبات حياته الأساسية . ولو تم استغناء كل فرد عن الآخر - على سبيل المثال - واعتمد على إمكاناته الذاتية فيما يحتاج إليه ، لانتفى معنى الاجتماع ، والتجمع ، والمجتمع . ولكن هذا كله قائم مما يدل على أن ليس هناك عزلة بالمعنى الدقيق للكلمة الشامل ، المانع .

المبحث الثاني : أنواع العزلة

ولعل من المفيد عند الحديث عن مفهوم العزلة على وجه العموم أن نقسمها إلى أنواع ليسهل التمييز ، والتعريف ، والتحديد لكل نوع منها . وليس بالضرورة أن يكون ذلك التقسيم مصطلحاً شائعاً ، بل قد يكون محض اجتهاد ، ومحاولة تقريب لمعنى شامل لمفهوم العزلة ، وتأثيرها في حياة الإنسان ،

يربط كل نوع من أنواعها بفئة من الناس ، ليلتقي الجميع بعد ذلك عند مفهوم عام وشامل ذي جوانب متعددة ، وليبان أن للعزلة مفاهيم إيجابية ، كما أن لها أخرى سلبية في حياة الإنسان السليم ومنها :

أولاً : العزلة الاجتماعية :

قال في قاموس علم الاجتماع : " هي درجة من الانفصال بين الأفراد ، أو بين الجماعات من منظور التفاعل ، والاتصال ، والتعاون ، والاندماج العاطفي ، والاجتماعي .

وقال : والحقيقة أن الجماعات التي تنتمي إلى هذا النموذج تظهر فيها مشاعر قومية بالتوحد الاجتماعي بين أعضائها ، وتعلّق أهمية عاطفية ، واجتماعية كبرى على قيمها ، وعاداتها ، ونظمها " (٩) .

يتبين من هذا التعريف أن للانفصال درجات ، وأن درجة العزلة في الانفصال قد تكون أكثر ، أو أقل ، أو مثل غيرها في قوة التأثير . وإذا اعتبرنا العزلة نتيجة وليست أصلاً ، فإنها تأتي في الغالب بعد النفور ، أو الشعور بالإحباط أو اليأس ، وقد تكون نوعاً من التعبير عن مخالفة في الرأي ، ومحاولة لإثبات الذات . وقد تكون نوعاً من الهروب يقوم به أحدهم ليسلم من المسؤولية . " وقد تكون حيلة دفاعية يلجأ إليها الفرد لعزل حدث ومنعه من التكرار ، بحيث لا يصبح جزءاً من تجربته " (١٠) .

فالانفصال من (منظور التفاعل) يكون بتبليد الشعور الحسن نحو الآخرين ، وعدم القدرة على الإسهام في التفاعل الاجتماعي ، وذلك لفقدان قدرة التأثير على الآخرين ، والاندماج بهم ، والتكيف والانسجام معهم .

ومن منظور (الاتصال) تتحقق العزلة بقطع الروابط الاجتماعية ،
والعلاقات المكتسبة بينه وبين الآخرين من جماعة الجوار ، أو جماعة العمل .

ومن منظور (التعاون) تظهر العزلة عند فقد الشعور بالحاجة إلى
الآخرين ، والاستغناء بقدر كبير عنهم ، أو عند اليأس من إصلاحهم .

ومن منظور (الاندماج العاطفي) تكون العزلة عند الشعور بالإحباط ،
أو اليأس المتجسد في الشعور بالاعتراب عن الأشخاص الذين تربطه بهم
علاقات قوامها العاطفة التي يتولد عنها استقرار عاطفي محض .

ومن المنظور (الاجتماعي) تبدأ بالميل إلى الانفراد ، والتساهل في
حقوق الآخرين : من صلة ، واتصال ، وإسقاط بعض الواجبات نحوهم ، وعدم
مراعاة العادات ، والأعراف ، والتقاليد قصداً أو عفواً ، وتسميته لهم في
التعريف بأنهم : " جماعات " ، وأن مشاعر قومية بالتوحيد الجماعي تظهر بين
أعضائها ... " الخ ، يدل على أنهم فئة كثيرة اجتمعت على رأي ، أو فكرة
تخالف ما يناقضها . فقد تكون العزلة من فرد لجماعة ، وقد تكون من جماعة
لفرد ، وقد تكون من جماعة لجماعة . فإبراهيم - عليه السلام - اعتزل قومه
لما عبدوا غير الله ، ولم يستجيبوا لدعوة التوحيد ، وقومه اعتزلوه لما دعاهم إلى
ما خالف معتقدهم ، فوصفه الله تعالى بأنه ﴿ كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك
من المشركين ﴾ النحل / ١٢٠ . خالف أمته بأسرها في منهجهم ، وسلوكهم ،
واختطَّ الله له منهجاً قويمًا أصبح نواةً للحنيفية السمحة من بعده .

وذا النون - عليه السلام - عندما لم يتجاوب قومه مع دعوته ، ذهب مغاضباً لهم ، إذ لم يكن مأموراً بالبقاء معهم إن لم يصدقوه ، وكان من شأنه ما ذكر القرآن .

ونوح - عليه السلام - دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، إلى توحيد الله فكان ومن آمن معه فئة قليلة ، ناوأت فئة كبيرة . والمسلمون في مجموعهم اعتزلوا الكافرين والمشركين في كل شأن من شئون حياتهم المخالفة لشريعتهم ، وخاصة في أمور العبادة قولاً ، وفعلاً ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي ، وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ ، أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ يونس / ٤١ .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِمَّا عَبَدْتُمْ ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ الكافرون ٦/١ .

ثانياً : العزلة الثقافية :

المراد بها قطع صلات العلم والمعرفة بمجتمع عن غيره من المجتمعات الأخرى ، والتحكم في نوعية الثقافة بين أفرادها ، وفرض نوع من المعارف ، والاصطلاحات ، والعلوم التي تخدم أهداف المستفيدين من ذلك على مجتمع بأسره ، كالدول الشيوعية مثلاً ، والبلدان التي تحكم بواسطة الأفراد المستبدين ، أو على فئة من الناس كالأسرى والسجناء المناوئين .

غير أن وسائل الإعلام المتاحة اليوم - وخاصة المرئية منها - تجعل مهمة العزل التام للشعوب شاقة ، بل ومعتذرة ، خروج السيطرة عن أيدي

المستفيدين من عزلة المجتمعات . وعليه فلا عزلة قسرية تقوم مع تطور وسائل الإعلام . وأصبح للعزلة مفهوم غير ما كان عليه قبلها . فمن اتخذ لنفسه مأوى مستقلا ، وانقطع فيه عن غيره فلا يستمع حديثا ، ولا يعرف خيرا ولا يتابع حدثا ، سمي معزلا ، وأنه يعيش في عزلة عن المجتمع كبعض الجنود اليابانيين الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية ، انقطعوا بعد هزيمة وحداتهم إلى غابة منعزلة ، وعند العثور عليهم أخيرا ظنوا أن الحرب ما زالت قائمة ، فكانت عزلتهم عن مجتمعهم شبه تامة .

أما من انقطع اليوم في بيته عن المجتمع فإن انقطاعه يكون بجسده ، فهو يرى ويسمع ويقرأ كل جزئية مما يقع من الأحداث والتطورات في العالم بأسره ، ويتعاش مع لحظة بلحظة ، ويستطيع من مكان إقامته الاتصال بمن أراد في أي مكان من العالم - تقريبا - وأن يشارك غيره الرأي ، والمشورة ، أو يخالفه فيهما ، وهو لا يرح بيته ، ولا يجتمع بأحد من جيرانه أو معارفه . فهذا النوع من السلوك يسمى عزلة مجازا ، بل إن في كثير من المجتمعات وخاصة الصناعية منها لا يعرف الجار جاره رغم أنه يشاركه نفس البناية ، ونفس الطريق ، ونفس وسيلة النقل ، وربما نفس العمل ، ذلك لاستطاعة بعضهم الاستغناء عن بعض باستخدام وسائل الاتصال المختلفة .

إن مثل هذا التصرف يدل على أن الإنسان المعاصر في بعض المجتمعات المتحضرة ، وخاصة المادية منها ، رضي لنفسه الاعتزال بجسده وكيانه عن الآخرين تخلصا من تبعات الخلطة ، وما تجرّه من توتر للأعصاب ومخالفة في الرأي وإعجاب بالذات . وهذا ينطبق على الإنسان المادي في المجتمعات . فهو

يعيش في مجتمع كبير ، يرى أفراده ، ويرونه غير أنه يعيش حياة مستقلة بنفسه ، تؤمن له الآلات المتنوعة معظم ما يحتاجه من خدمات .

ثالثاً : العزلة السياسية :

(هي المحافظة ، والتفوق ، والتنكر لكل جديد أو تقدم ، وهي حالة من الحياد تتميز بالسلبية ، أو الانطواء ، تلجأ إليها بعض الدول باعتمادها العيش بعيداً عن مواطن النزاع ، والصراع العالمي ، وتجنباً للمشكلات التي تنشأ نتيجة للمنافسة الدولية .

وليست الانعزالية حالة ثانوية تقوم على أساس معاهدات ، أو اتفاقات ، أو ميثاق ، بل إنها تظهر عبر سياسة الدول منفردة ، غير أن الانعزالية قد أصبحت سياسة عديمة الفائدة بعد قيام المنظمات الدولية التي جمعت بين دول العالم ، وبعد تطور وسائل النقل والإعلام (١١) .

ولعل دول كاليابان تصلح أن تكون أمثودجا قريباً لمجتمع تبنى سياسة العزلة في وقت معين ، ثم ترك تلك السياسة إلى سياسة الانفتاح المنضبط .

يقول الدكتور محمد الرميحي : (الذات الجماعية لدى اليابانيين ملحوظة ، والعمل كفريق سمة من سمات شخصيتهم الوطنية ، وكذلك التنظيم الاجتماعي ، فقد انصهر المجتمع الياباني منذ القديم بوتقة واحدة ، إلا أن العزلة التاريخية - خاصة في عصر الفتحاح ، والاكتشافات الغربية منذ القرن السابع عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر - هذه العزلة فرضت عليهم التقدم بطريقتهم الخاصة (١٢) .

وعند الرجوع إلى سير الصحابة نجد أن سعد بن أبي وقاص اتخذ موقفاً حيادياً أمام الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، فلم يكن مع واحد من الفريقين قائلاً لمن دعوته للخروج معهم : " لا ، إلا أن تعطوني سيفاً له عينان بصيرتان ، ولسان ينطق بالكافر فأقتله ، والمؤمن فأكف عنه " (١٣) .

وكذا فعل محمد بن مسلمة الأنصاري قائلاً : " ما أريد أن يشتمل على شيء من أمصارهم حتى تنجلي عما انحلت " (١٤) .

وهذه عزلة إيجابية ، فإنها فرار بالدين عن معرك الفتنة ، حيث لم يتبين للمعتزل الجانب الذي معه صريح الحق فيها ، ولم يكن في مكنه التصدي لها ، وإطفاء نارها . وقد أرشد إليها النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذا الوطن وحث عليها ، كما سيتبين لاحقاً إن شاء الله .

رابعاً : العزلة الأخلاقية :

سلوك يقتضيه التباين في مفهوم الأخلاق المكتسبة والمجولة بين الناس . ويرر ذلك السلوك - في الغالب - لدى الشعوب المتدينة والأخرى الإباحية . فمن أحاط أبناءه بسياج محكم من التربية القائمة على قواعد الأخلاق الحميدة من تعاليم الدين الإسلامي ، والأعراف السليمة ، والمروءة ، وأخذ على نفسه متابعة نشأتهم عليها بشيء من الإصرار ، وصبر على ذلك ، واحتسب الأجر من الله ، وضرب لهم المثل الأعلى من نفسه في منهجها ، وسلوكه ظاهراً وباطناً ، حتى ترسخ في أنفسهم معاني الأخلاق الحميدة ، ويتطبعوا بها نهجاً ، وسلوكاً ، أمكن أن يطلق على ذلك النشأ ، أنهم يعيشون عزلة أخلاقية متميزة من وجهة نظر الفئات الأخرى المخالفة لها .

وأما الشعوب الإباحية فيباح لنشئها التصرف بجرية مطلقة ، بعيدا عن أي ضابط من الضوابط الأخلاقية . ولولا تهديد المصالح المادية الأساسية في حياة أفرادها بالفساد ، والاضطراب ، لما اعتبر الإباحيون الكذب ، والسرقعة ، والزنا وغيرها من الخصال الذميمة جرائم أخلاقية . هذه الشعوب تعيش عزلة أخلاقية ، قوامها التخبط ، والتسيب ، من وجهة نظر الملتزمين ، يظهر الفرد منهم في حياته أقرب ما يكون إلى حياة الحيوان يعيش لياكل .

وصدق الله القائل : ﴿ ... لهم قلوب لا يفقهون بها ، وهم أعين لا يبصرون بها ، وهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ﴾ .

خامساً : العزلة الدينية :

تكون بسبب اختلاف المعتقدات ، والمبادئ بين شريعة وأخرى . فيحرص كل جانب على المحافظة على أخلاق شريعته في نفسه ، وأهله ، ومجتمعه ، ويحاول الاستقلال التام بكل موروثات شريعته عن الشريعة - أو الشرائع - المخالفة الأخرى ، سلوكا ، ومنهجيا ، ويمنع بالتصدي ، والمقاومة كل نوع من أنواع التأثير المباشر ، وغير المباشر على أفرادها ، وجماعته ، وخاصة الناشئة منهم ، بتزويدهم بالثقة ، والقناعة بتعاليم شريعتهم ، مما يكسبهم منطقاً قوياً في الجدل ، وصلابة ، وثباتاً أمام الشبه والمغريات .

(والجماعات الدينية تحاول الإبقاء على الأشكال المميزة للعبادة ، كما تحاول تعليم أطفالها نفس العقيدة ، وتعمل على أن تقلل ما أمكنها من احتمال الزواج من جماعات أخرى ، وهي لذلك تعمل على عزل نفسها لأغراض

سكنية ، وتعليمية ، وترويجية ، ودينية ، مع درجات متفاوتة من الدقة ،
والصرامة) . وخير مثال لهذه الجماعة - كما أخبرني أحدهم الإباضية في
الجزائر (١٥) .

سادساً : العزلة النفسية :

هي (التي يفرضها الشخص على نفسه ، ومردها إلى الإحساس
بالنقص ، أو بالاستعلاء ، أو بالمغايرة) (١٦) أو الشعور بالإحباط عند اليأس
من فعالية الاختلاط بالآخرين ، وجدواه ، فينطوي على نفسه ، مكونا مجتمعا
مضغراً يطرح فيه أفكاره ، ويتلذذ بأمانيه . والذي يستقل بثئون نفسه ، أو
ببعضها عن الآخرين في مجال من مجالات الحياة ، عندما لا تضطره الحاجة إلى
ملازمتهم ، والاندماج معهم ، كالمفكرين في مجال التأليف ، والاختراع ، فإن
طبيعة أعمالهم تقتضي التفرّد ، والانقطاع عن كل شاغل . روى الحكيم
الرمذي في الأمثال عن القاسم بن محمد أنه قال : " هلكت امرأة لي فأتاني
محمد بن كعب القرظي يعزيني بها فقال لي : إنه كان عالم في بني إسرائيل ،
وكان له امرأة ، وكان بها معجبا ، فماتت فوجد عليها وجدا شديدا ، ولقي
عليها أسفا حتى خلا في بيته وأغلق على نفسه واحتجب عن الناس فلم يكن
يداخل عليه أحد... " (١٧) .

فعزلة ذلك العالم جاءت نتيجة ما اعتزى نفسه من ألم ، وحسرة على
فقد زوجه ، في وقت كان يحتاجها فيه ، واعتراه شعور بالإحباط عن عجزه عن
تحقيق أنسه ، وراحته مع من أحب . وشعر باليأس من وجود البديل المناسب ،
فأغلق على نفسه ، واحتجب عن الناس . يقول الدكتور عادل صادق : " إذا

اجتمعت سمات الانطوائية ، والخجل ، والتردد ، فإن سلوك هذا الإنسان يدفعه إلى الانعزال عن الناس ، وتفضيل الوحدة . وقال : الانطوائي يمتلئ قلبه حبا ، ولا يستطيع أن يصدر إشارة واحدة تكشف عن عواطفه . يكتظ خياله بالأحلام ، والأفكار ، ولكنه غير قادر على تحقيق أكثرها تواضعا . يهرب من الناس ، يضطرب بشدة إذا اضطر أن يقابلهم ، قد يكون افضل منهم علما ، وقوة ، وسلطة ، ومالا ، ومكانة ، ولكنه يشعر بالخوف . هادئ في سلوكه بعيد كل البعد عن العنف ، والعدوانية . متزدد ، موسوس ، يهتم بأفكاره ويرعاها . يهتم بالقراءة ، وأي هواية يكون فيها وحيدا ، ولهذا يصلح كعالم ، أو فيلسوف ، أو باحث ولا يصلح كممثل ، أو مسؤول في العلاقات العامة ، أو قائد لأي مجموعة من الناس وإن صغر عددها (١٨) .

سابعاً : العزلة الصحية :

وهي نوع من الإجراءات الوقائي للحيلولة دون انتشار الأمراض المعدية بانتقالها عند المخالطة من المريض إلى السليم . فيعزل المريض في مكان يتلقى فيه العلاج اللازم حتى تنقطع عنه أسباب المرض . وفي أكثر الأحوال تكون عزلة إجبارية تفرض على المريض . وهذا النوع من الفعل لا يتنافى معنى التوكل على الله ، بل لعله يدخل في مفهوم قول عمر بن الخطاب لأبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهما عندما سأله ، وقد رجع عن دخول الشام لانتشار مرض الطاعون فيه : أفرارا من قدر الله ؟ قال عمر : نعم ، نفرّ من قدر الله إلى قدر الله" (١٩) .

قال الله جل وعلا أوجد السءاء ، وأوجد الدواء ، ولا شيء خارج عن إرادته ومشئته . فمن كان خارج المكان قدر الله له السلامة ، ومن كان بداخلها قدر الله عليه البلاء . فمن كان موبوء ، وباء معديا ، أو كان وجوده في المجتمع يسبب أذى للآخرين كالمجنون أو السفهه ، لزمه مفارقة الأصحاء ، أو ألزم بذلك . وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يُوردن ممرض على مصحّ) (٢٠) .

أي : من كان مرضه معديا فلا يختلط بالصحيح . وهذا يكون واضحا في الإبل تكون صحيحة معافاة . فإذا خالطها جعل أجرب ، انتقل الجرب إلى البقية ، والله هو الفاعل لكلا الحالين ؛ أو كما قال صلى الله عليه وسلم " فمن أعدى الأول " (٢١) . ولكي لا يجد المسلم في نفسه شيئا من الردد - عند إصابته بالداء - بأن لذلك الداء قدرة ذاتية ، لا سيطرة عليها من إرادة أخرى ، فيلذنيه هذا الهاجس إلى سوء ظن بقضاء الله وقدره . ويقول : لو لم أخالط ذلك المريض لسلمت من المرض ! . وكذلك قد يعزل المريض عن الآخرين لحاجته إلى الهدوء ، والراحة ، وعدم التكلف بحديث ، أو تصرف .

ثامناً : العزلة الفردية :

قال في موسوعة علم النفس والتحليل النفسي : " العزل أو الاعتزال عن الآخرين من نفس النوع ، إما جغرافياً ، وإما بسبب عدم الرغبة في التزاوج مع الآخرين ، وإما بسبب الإحساس بالنقص ، أو بالاستعلاء ، أو بالمغايرة . والعزلة حيلة دفاعية يلجأ إليها الفرد لعزل حدث ومنعه من التكرار ، بحيث لا يصبح جزءاً من تجربة الشخص . فعندما يحدث شيء غير سار للمرء فإنه يتوقف

لفترة يعزل نفسه عن الأحداث . ومع ذلك فالتجربة لا تنسى بالعزل ، وإنما تفرغ من الانفعال الذي كان يرافقها ويكبت ما يرتبط بها ، ويبقى معزولا لا يلعب أي دور في حياة الفرد الفكرية اليومية " (٢٢) .

ويقول الدكتور ألبرت إدوارد وليجام - أحد مشاهير علماء النفس : " إن الوحدة مرض ليس له أعراض . ويقول : " الوحدة تفرض علينا نتيجة لأسباب وعوامل كثيرة تزسب في نفوسنا ، أما العزلة فنعيشها باختيارنا . ويقول " إن خيبة الأمل ، والإحساس بالظلم الواقع علينا - مبررا أو متوهما - من بين الأسباب التي تؤدي إلى الشعور بالوحدة . ويقول : ثم هناك الشعور بالنقص ، وهو في مقدمة الأسباب التي تدفع المرء إلى الإحساس بالوحدة ، والحزن على فقدان إنسان عزيز ، كثيرا ما يقتل الرغبة في الاستمرار في الحياة ، والإحساس بالفراغ والوحدة . " ويقول تشارلز شرنجتون : " إن حساسيتي الزائدة لما يحتمل أن أقوله ، وأفعله ، وللنتائج التي يحتمل أن تعرتب على هذا القول ، أو الفعل هي السبب الأساسي في الهروب من الناس ومن شعوري بالوحدة . ولكنني استطعت أن أتغلب على هذا الشعور نهائياً عندما عدت إلى نفسي ، وبدأت أفكر وأتصرف بالطريقة التي أراها مناسبة غير عابئ كثيرا بما يدور في أذهان الآخرين ، فالوحدة إذاً قد تجيء نتيجة لعقدة ترسبت في نفوسنا منذ الصغر " (٢٣) .

وقيل : الذي يعيش وحيدا كأنه أقام بينه وبين الناس ستارا شفافا يرى من ورائه الناس ويرونه من دون أن تؤدي به هذه الرؤية إلى التخلي عن وحدته، أو أن تؤدي بهم إلى مشاركته في هذه الوحدة .

الفصل الثاني : مفهوم العزلة

المبحث الأول : مفهوم العزلة من القرآن الكريم

عند تتبع مادة عزل في القرآن الكريم نلاحظ أنها وردت بمعان مختلفة . منها : المفارقة ، التنحي ، المجانبة ، الترك ... الخ . ونلاحظ أن مفهوم الاعتزال جاء في القرآن بوصفه حلاً يتطلبه موقف الأمور بالاعتزال ، وليس رغبة أو سلوكاً فردياً منه . فجاء بمفهوم المفارقة بعد جهد في الدعوة إلى توحيد الله ، وصبر من الداعية حتى إذا اصطدمت دعوته بعقول متحجرة ، وأنفس مغلقة حق للداعية بعد ذلك أن يغير من نهجه ، فيختار المفارقة ، والانتقال إلى موضع آخر يجد فيه أنصاراً للحق ليسلك معهم طريقه إلى الله . وأقرب مثال على ذلك قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع قومه عامة ومع أبيه بشكل خاص . فقد بدأ بدعوة أبيه إلى الإيمان بالله وحده ، ونبذ ما سواه من الآلهة ، مذكراً إياه سوء العاقبة ، ومتسائلاً عن جدوى خضوعه ، وطاعته لآلهة لا تسمع ، ولا تبصر ، فهي بالتالي لا تفني عنه شيئاً ، ولا تحقق له مطلباً ولا غاية . ثم دعاه إلى اتباعه بعد أن جاءه من الله - الإله الحق - علم يقيني خصه به دون أبيه وقومه ، يكون سبباً في هدايته ، نهجاً سويماً ، وحلماً من اتخاذ الشيطان - الذي عصى الرحمن وخرج عن طاعته - معبوداً وهادياً له ، وولياً يتولى أمر قيادته إلى ما يسخط الرحمن . ومن كان كذلك فإنه موعود عذاباً يوم القيامة . ولكن أباه ، وقد استحوذ عليه الشيطان ، رفض دعوة الخير ، وامتنع للضلال والباطل ، وأصر على ترسيخ مفهوم الشرك في نفسه ، مهدداً ومتوعداً ابنه إبراهيم عليه السلام بالرجم أو الطرد من مجتمعه .

وتحت تأثير البتوة الصادقة وعد إبراهيم أباه بالاستغفار له عند ربه ،
وأكد له ولقومه عزمه على مفارقتهم ، وترك معاشرتهم ، ونبذ دعوتهم من
دون الله والهجران لهم والانفراد عنهم ، فليس شيء مثل الإيمان وحده حق ،
وليس شيء مثل الإشراف به باطل .

قال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ، إذ قال
لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ، يا أبت إنني قد
جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً . يا أبت لا تعبد الشيطان
إن الشيطان كان للرحمن عصياً . يا أبت إنني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن
فتكون للشيطان ولياً . قال أرأغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجنك
واهجرني ملياً . قال سلام عليك سأستغفر لك ربّي إنه كان بي حفيماً
وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربي عسى ألا أكون بدعاء ربّي
شقيماً . فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً
جعلنا نبياً . وهبنا لهم من رحمتنا وجعلناهم لسان صدق علياً ﴾
مريم ٤١-٥٠ .

ف عزلته عليه السلام لأبيه وقومه ليست بمعنى الانزواء ، أو الانطواء
على نفسه ، أو الهروب من مواجهة الموقف معهم ، بل هي احتجاج ورفض لما
هم عليه من معتقد فاسد يخالف نص وروح رسالته التي بعث بها من ربه ،
ويعارضها ، فلم يكن عنده من خيار حينئذ سوى مفارقتهم ، وإعلان مخالفتهم ،
وإن كان يشعر نحو أبيه بعاطفة البتوة . غير أن مهمته التي اختارها الله لها في
الحياة الدنيا لا تقبل الازدواجية ، ولا التسوية ، ولا التأجيل ، أو المداينة ، لا

في القول ولا في العمل . فمبدأ التوحيد يقوم على أفراد الله بالعبادة ، ومبدأ الشرك يقوم على تعدد الآلهة .

ونلاحظ أن (آزر) قد لمح ، لاستحالة مثل هذا التوفيق بين المعتقدين (قال أراغِبُ أنت عن آلهتي يا إبراهيم ..) أي لا تريدها ولا تقبل بها ؟ وكان آزر يهدد ابنه بالرجم ما لم ينته عن مخالفته إياهم ، وهي عقوبة شديدة لا يستحقها سوى من أتى بجرم عظيم . غير أنه غلب جانب الأبوة ، وطلب من ابنه أن يقاطعه زمنا طويلا لعل مرور الوقت ، وما سيلقاه ابنه في وحدته من صعوبات حمة ، ما يؤثر على فكره وسلوكه ، ويدفعه إلى ترك دعوته ، أو الاكتفاء بترك منابذتهم ، وتسفيه آهتهم . ولكن هيهات أن يقع مثل هذا من نبي ، من أولي العزم ، كإبراهيم عليه السلام .

وفي موقف آخر - مغاير - من نظم القرآن الكريم يطالعنا نوح عليه السلام وفي جانبه الحق يدعو ابنه وقومه إلى النجاة من سخط الله وغضبه بترك الإشراك به وتوحيده بالعبادة ، وقد استمرت دعوته فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما . غير أن جهوده في دعوته ذهبت سدى إلا في بعضهم ممن آمن به ، فأذن الله المشركين بالعذاب ، طوفانا جارفا بحق الله به الأخضر واليابس ، ولم ينج إلا من كان على ظهر السفينة ﴿ وهي تجري بهم في موج كالجبال ، ونادى نوح ابنه وكان في معزل ﴾ عنه وعن السفينة ومن فيها منقطعا عنهم ﴿ يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴾ نصيحة أب مخلص صادق العقيدة ، والإيمان لابنه الذي كابر وثابر على الكفر والضلال ﴿ قال سأوى إلى جبل يعصمني من الماء ﴾ ولكن الأب بما أعلمه الله ، وبقينه بقدره الله قال له ﴿ لا

عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم . وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴿ هود / ٤٣ .

عزلة ابن نوح جاءت بمعنى لزوم المكان والثبات فيه ، والانقطاع عن مجتمع أبيه ومن آمن معه الذي تمثل في حينه بمن كان في السفينة وما حملت .
وموسى عليه السلام أمر دعوته لا يحتمل المداهنة ، أو المجاملة ، أو الحلول الوسط ، بعد أن بسط لفرعون الأدلة ، والآيات على وحدانية الله ، وبطلان ما ادعاه فرعون من ألوهية . ولكن فرعون ﴿ علا في الأرض ، وجعل أهلها شيعاً ، يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم ، إنه كان من المفسدين ﴿ القصص / ٤ ، وبقي المؤمنون برسالة موسى يخافون فرعون وبطشه ، حتى أمر الله موسى بمفارقة المشركين والكفرة ، إلى موضع آخر يعبدون الله وحده فيه . وهكذا الداعية إلى الخير ، إذا اصطدمت بتعنن الغاوين ، وجبروت الظالمين ، وخشي على نفسه وأتباعه الفتنة ، أن يفارقهم إلى مكان يأمن فيه ، كما فعل نبينا صلى الله عليه وسلم عندما اشتد أذى قريش للمؤمنين بمكة في بداية البعثة النبوية ، أمرهم بالهجرة إلى الحبشة قائلاً : " إن فيها ملكاً لا يظلم أحداً " (٢٤) رغم كونه على دين النصرانية ، لكن سمة العدل والإنصاف كانت تعرف عنه ، وكان ذلك من أجل أن يفروا بدينهم من الفتنة .

فالاستسلام للظلم بدون مقاومة ، والبقاء في أرض يخشى على دينه الفتن ، وعلى نفسه الاضطهاد ، والمهانة مع القدرة على الانتقال من مكان آخر آمن ، من الأمور التي يسأل عنها العبد يوم القيامة ، كما بين الله ذلك في

القرآن ﴿ إن الذين توفّاهم الملائكة ظلّمي أنفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ النساء / ٩٧ .

واصحاب الكهف ورد ذكر الاعتزال فيما قصه القرآن من شأنهم ، بمعنى المفارقة والتنحي والانقطاع ، والاختفاء . فهم فية خالفوا قومهم المشركين ، وآمنوا بالله وحده لا شريك له ، مما أثار عليهم ضغينة الملك ، وهم بالبطش بهم ، إن لم يرتدوا ، ويدينوا بدين قومهم . فلما أحسوا بذلك ، اتفقوا على الفرار بدينهم من الفتن ، فخرجوا إلى ضاحية المدينة حيث كهف يصلح أن يكون لهم ملاذا ، وسرا عن أعين الملك المتجبر ، يختفون ، وينقطعون عن اجتماع حتى تهدأ ثائرة الملك ، وتتبدل الأحوال .

ولكن الله - جل وعلا - جعل من ملاذهم هذا ، وإنقطاعهم فيه ، دليلا على عظيم قدرته ، فمكث الفتية نائمين ﴿ ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ﴾ ثم بعثهم الله ، حين تغير المجتمع برمته ، وأصبح يدين بدين أولئك الفتية ، عندما بدأوا سباتهم العميق في الكهف . وهذه الطريقة ، وهي الانعزال عن المجتمع ، تصلح لمستضعف لا يؤمن بمبادئ مجتمعه كلها ، أو بعضها ، ولا يملك من القوة ما يمكنه من الدفاع عن نفسه أو التأثير على الآخرين ، فيختفي في مكان من أعين الناس ، فزة من الزمن مزبصا فرصة للظهور مرة أخرى في مجتمعه ، وقد وجد من يناصره ، ويقف معه ، وقد فارق أولئك الفتية مجتمعهم ، وتحووا عن قومهم جانبا ، واختفوا في الكهف المهجور ، فانقطعوا بذلك عن كل ما يمكن أن يؤثر على معتقدتهم ، أو يضطرهم إلى الرضوخ إلى الأمر

الواقع . فانقطاعهم عن مجتمعهم كان انقطاعا تاما ، وشاملا ، هو أشبه بالعزلة الدينية ، الثقافية . اقرأ إن شئت قول الله تعالى : ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ ولا يشرك في حكمه أحدا ﴾ الكهف / ٩-٢٦ .

فعزلة أصحاب الكهف والرقيم صاحبها قطع جميع الصلات بينهم وبين قومهم المشركين ، والتخفي عنهم والاعتكاف في الكهف ، لطلب الخلو والاتزواء فيه . فقد فضلوا ذلك السلوك ليس عن رغبة ، بل أسلوبا للنجاة والفرار بدينهم ومعتقدهم من مجتمع بأسره يخالفهم فيهما ، ولا طاقة لهم في إرغامهم على اتباعهم ، ولا يستطيعون حماية أنفسهم منهم .

وجاء الاعتزال في القرآن الكريم بمعنى المنع والخلولة دون تحقيق الإرادة ، وسلب القدرة على إتمام العمل بقوة السلطان ، فيقال : هو معزول . ولا يكون ذلك برغبته ، وإراداته في الغالب .

قال تعالى نافيا صلة الشياطين بنزول الوحي ، ومن ثم تأثيرهم عليه : ﴿ وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم ، وما يستطيعون ، إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ . الشعراء ٢١٠-٢١٢ فالضمير في قوله تعالى : ﴿ وما تنزلت به الشياطين ﴾ يرجع إلى الوحي من الله إلى من شاء من خلقه . أو خاص بما أوحى إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام من القرآن وغيره . فقد كان مما أثاره المشركون ، وإخوانهم المنافقون في بدء البعثة النبوية ، وما بعدها : أن محمدا يتلقى القرآن من الشياطين . وقد صوروه - صلى الله

عليه وسلم - كاهنا ، أو ساحرا يستمد من الشياطين أقواله ، وتعاليمه التي يبالغها للناس .

وقد كانت للشياطين القدرة على استراق السمع بالتطاول إلى السماء ، يتسلق بعضهم على بعض ، فرمما علموا من خير السماء بعض ما سيكون ، فيخبرون به أنصارهم ، وأتباعهم من الإنس الذين يدعون علم الغيب ، فيضيفون إلى ذلك الخبر الصادق كثيراً من الأخبار الملفقة الكاذبة ، فيتوهم السامع - غير المؤمن - أن هذا الكاهن أو الساحر القدرة على معرفة الغيب ، وأسراره .

ومحمد - صلى الله عليه وسلم - في نظرهم يتقول أشياء يتعلق جلها بما غاب عنهم . غير أن تلك القدرة على استراق السمع لم تعد ممكنة بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ففي حديث طويل عن ابن عباس يرفعه قوله : (ولقد حيل بين الشياطين ، وبين خبر السماء) (٢٥) ، فقد أوكل الله بالشياطين شهاباً ترميهم ، وتهد جمعهم الموصل إلى السماء . قال تعالى ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين ، وحفظناها من كل شيطان رجيم ، إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾ الحجر / ١٦-١٨ .

وقال تعالى حكاية عن الجن : ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ الجن / ٨-٩ .

وقد يصدق هذا المعنى من العزلة على المحتجزين عقوبة تأديبية لمخالفتهم شرائع مجتمعاتهم ، وقيامهم بما يهدد أمنه وسلامته . أو من كان ذا خلق سيء يتأذى منه أهله ، وجيرانه أو من كان مصاباً بمرض معد ، فإن لولي الأمر الحق

في منعه من الاختلاط بغيره ، وجعله معزولاً في مكان خاص حتى ينظر في أمره ، ويتقرر أمر علاج حالته . فهؤلاء وغيرهم لا يميلون إلى الاعتزال بطبعهم ، بل يرغبون عليه إرغاماً كوسيلة لترويضهم .

وجاءت كلمة الاعتزال - أيضاً - في القرآن الكريم بمعنى ترك شيء لقصد الابتعاد ، والجانبية المؤقتة بسبب طارئ ، كان قبله مباحاً ، وتعود بإحتماله بعد زوال السبب كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَيْضِ الْقَلْبِ هُوَ أَذَى ، فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْخَيْضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ البقرة / ٢٢٢ .

فالحَيْضُ مصدر ميمي بمعنى الحيض ، وقيل : زمانه ، وقيل : مكانه ، وهو الدم الذي يسيل من قعر الرحم للمرأة في خلال كل شهر من الزمن ، ليتخلص الرحم من البويضة غير الملقحة . وهو علامة بلوغها وبداية تكليفها . والسؤال عنه في الآية سؤال عن ماهيته ، وعن حكم وطء الرجل زوجته المتلبسة به . فعن الأول أجاب تعالى : بأنه (أذى) أي : مستقذر ، مكروه يضر بالمرأة إذا احتبس فيها ، ويضر بالرجل إذا أوج فيه . ويعتري المرأة في حال تلبسها به حالة من الخمول والآلام والعزوف عن المعاشرة ، وله رائحة كريهة متميزة يستقذر الرجل السوي معها مباشرتها ، فيعتزل من المرأة موضعه ولا يتعدى ذلك إلى بقية بدنها . وعلى الثاني أجاب بأن على المسلم تجنب وطء زوجته عند حيضها ، وأباح له التمتع بها فيما دون ذلك ، قالت عائشة : (كانت احدانا - إذا كانت حائضاً - فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تنزّر في فور حيضتها ثم يباشرها) (٢٦) ، وذلك خلافاً لما

كان سائدا في بعض الأمم السابقة ، فقد كان منهم من يحرم على نفسه مجالستها ومواكلتها حتى تطهر . وكان منهم من يخرجها من البيت إذا حاضت ، ويحرم الحديث معها وملامستها ، قال أنس : إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت ، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت الآية ﴿ يسألونك عن الحيض ﴾ فقال : (اصنعوا كل شيء إلا النكاح) .

وكان منهم من لا يعبأ بالحيض فيستمر معه في إصابة موضعه من أهله . إذا فالاعتزال في هذه الآية جاء بمعنى الترك المؤقت لفعل شيء مباح بتجنبه ، والأخذ بأسباب الحيطة حوله دفعا لمخالفة أمر الشارع فيه ، مدة وجود العلة المانعة وهي دم الحيض أو النفاس . وقد شرع لنا من الدين تجنب إتيان موضع الحيض من نساءنا حال تلبسهن به ، وأباح ما دون ذلك من طرق ووسائل للتمتع بهن ، وهو داخل في مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم (اصنعوا كل شيء إلا النكاح) . ويقال لما نزلت : (فاعتزلوا النساء في الحيض) اعتزل المسلمون النساء في أيام الحيض ، وأخرجوهن من البيوت ، فقدم أناس من الأعراب وقالوا : يا رسول الله ، البرد شديد وقد اعتزلنا النساء ، وليس كلنا يجد سعة لذلك . فقال لهم : (إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن ، ولم يأمركم أن تخرجوهن من البيوت كما تفعل الأعاجم) (٢٨) وجاء الاعتزال في القرآن بمعنى التنحي ، وأخذ جانب الحياد بين فئتين مختلفتين لا سبيل إلى مرضاة إحداهما إلا بإغضاب الأخرى ، حتى لا يكون الأمر نفاقا . فمن صانع في أمر يرى أنه باطل ، فقد أودع نفسه وحاله القلق المستمر ، إذ لا سبيل إلى تجزئة الحق ، ولا حق إلا مع وجود الباطل ، فبضدها تتميز الأشياء قال تعالى ﴿ فما لكم ﴾ أيها المسلمون في شأن (المناققين) انقسمتم إلى ﴿ فئتين ﴾ فئة تقول :

اقتلوهم فإنهم منافقون ، وأخرى تقول : اعفوا عنهم فإنهم تكلموا بالإسلام ﴿
 والله أركسهم بما كسبوا ﴾ من أعمال سيئة يعودتهم إلى الكفر ﴿
 أتريدون ﴾ أيها المسلمون ﴿
 أن تهذبوا من أضلَّ الله ﴾ وقد علمتم ﴿
 ومن يضلَّ الله ﴾ عن الهدى ﴿
 فلن نجد له سبيلاً ﴾ يقوده إلى طريق الحق . ﴿
 ودوا لو تكفروا ﴾ كما كفروا فتكونون سواء ، فلا تتخذوا منهم أولياء ، حتى يهاجروا في سبيل
 الله ﴿
 عن النفاق والكفر إلى الطاعة والإيمان بالله ورسوله ﴾ فإن تولَّوا ﴿
 بأن
 أعرضوا ﴾ فخذوهم ﴿
 أسارى ﴾ واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم
 ولياً ولا نصيراً . إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ، أو جاءوكم
 حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلو قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم
 فلقاتلوكم ، فإن اعزلكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم
 عليهم سبيلاً ﴿
 النساء ٨٩-٩٠ .

فتنحي المنافقين ، واتخاذهم جانب الحياء في الصراع بين المسلمين
 والمشركين ، أفاد المسلمين في التفرغ لقتال الكافرين ، وأمنوا مكر المنافقين
 بينهم . فهو اعتزال مؤقت يمكن أن نسميه إجراء وقائياً ، أملاه ظرف معين ،
 واقتضته مصلحة مشتركة . وقد أخبر سبحانه المؤمنين في سياق الآيات بأنكم ﴿
 ستجدون آخرين ﴾ من فئة المنافقين ﴿
 يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم ﴾
 على أنفسهم من القتال والانتقام من الفريقين ، وكان من شأنهم ﴿
 كلما ردوا
 إلى الفتنة ﴾ بأن دعاهم المشركون إلى عدم الإيمان والإسلام ﴿
 أركسوا فيها ﴾
 عادوا إليها برجوعهم إلى الشرك ، ﴿
 فإن لم يعتزلوكم ﴾ عند نشوب القتال
 بينكم وبين المشركين ﴿
 ويلقوا إليكم السلم ﴾ من المهادنة والمصالحة ﴿
 ويكفوا
 أيديهم ﴾ عن مشاركة المشركين في قتالكم ، بأن يكونوا طابوراً خامساً ،

﴿فخذوهم واقتلوهم حيث ثقتموهم ، وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا﴾ النساء / ٩١ . فهذا الصنف من المنافقين تربطكم بهم عهود ، ولا مواريق ، بل عليهم أن يتنحوا عنكم جانبا عند قتالكم المشركين من قومهم ، وأن يعلنوا لكم الحياد بمصاحتكم على كف أيديهم عنكم عند القتال . فإن لم يتحقق ذلك منهم ، بإلقاء السلم إليكم ، وكف أيديهم عنكم ، فاتخذوهم في حسابكم أعداء بالرغم من دعواهم الإسلام - مهديوري الدم ، والكرامة ، يقتلون أينما وجدوا .

قال ابن العربي : دليل الخطاب في هذه الآية يقتضي أن من اعتزل ، وألقى السلم لم يقاتل " (٢٩) .

المبحث الثاني : مرادفات العزلة من القرآن

وفي معنى العزلة وردت في القرآن الكريم كلمات لها مدلول العزلة بشكل أو بآخر : كالانتباز ، والانفراد ، والخلوة ، والاختفاء ، والوحدة ، والاعتكاف ، والتواري ، والانقطاع ، والهجران ، والاحتجاب ، والاكتمان ، ولزوم البيت أو المكان ، والرهابية . قال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ﴾ مريم / ١٦ بمعنى : تحت بنفسها ناحية شرقية خارج مسكن أهلها ، محتجة بذلك عنهم متخذة لنفسها مكانا منعزلا ، وما حدث لها بعد ذلك يبين بجلاء سبب تلك العزلة . فهي لا تملك لما أصابها من حمل وولادة بطريقة غير مألوفة أي حجة تسوغ بها موقفها عند أهلها ، وقومها إلا اللجوء إلى العزلة ثم الصمت ، وقد أوكلت أمرها إلى ربها الذي أوحى لها أن تشير إلى مولودها فكانت المعجزة بأن نطق المولود وأظهر معجزة الله فيه ،

وفي والدته قائلاً ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ... ﴾ الآيات مريم ٣٠-٣٣ .

فالاعتزال هنا جاء لضرورة اقتضاها الموقف ، وتوطئة لأحداث تجري فصولها تباعاً ، وتتطلب استعداداً نفسياً ، وفكرياً من المعتزل للذين اعترضهم عند المواجهة ، ومقارعة الحججة بالحجة .

والفرد ، والتفرد والإنفراد : وحدة . ورجل وحيد لا أحد معه يؤنسه ، قال تعالى ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى ، وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ الأنبياء ٨٩-٩٠ . والله تفرد بالأمر دون غيره ، فهو الفرد الصمد لا نظير له . وقال ابن الأعرابي : فرد الرجل إذا تفقه ، واعتزل الناس ، وخلال بمراعاة الأمر والنهي (٣٠) .

فمن مؤشرات القبول للاعتزال عند الشرعيين أن يكون المعتزل قد تفقه في أمور دينه الأساسية حتى لا يحتاج غيره في معرفتها ، ويأتي بها على وجهها الصحيح في عزلته . فهو إذا خلا بنفسه فقد انفرد بها عن الناس . وإذا خلا بغيره خلوة انفرد به .

والمناقفون يتكيفون مع غيرهم وفق مصالحهم ، وأهوائهم ، فهم مع الجميع بما يرضي الجميع قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴾ البقرة / ١٤ .

والخلوة يحتاجها أكثر الناس ولو مرة في حياتهم ، فإذا خلا الإنسان بنفسه استطاع محاسبتها ، ومناقشتها ، ومن ثم استطاع تقويمها التقويم المناسب

ليظهر أمام مجتمعه بالمظهر المناسب الذي يركز في أخلاقه ومعاملاته على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف . وما ترك النفس على سجيته ، إلا نوع من التفريط في حقها ، فالنفس أمارة بالسوء . وتزداد حاجة الإنسان إلى الخلوة كلما زادت حاجته إلى الاستقامة والظهور بمظهر الخير ، والصالح في مجتمعه .

وللاعتكاف في القرآن ذكر كسلوك للمسلم يمارسه عند حاجته إلى شيء من الصفاء الذهني والنفسي ، مبتعدا بنفسه عن مشاغل الحياة المادية ، ومنقطعا بها إلى تأمل ملكوت الله ، وتدبر آياته في الكون الواسع وفي نفسه . فكأنه بذلك قد حبس نفسه عما اعتادت من التصرفات ، والملذات ولازم المسجد لكونه مكانا مناسباً لحضور الجمع والجماعات . قال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ الحج/٢٥

فمسجد مكة المكرمة كغيره تتحقق فيه المساواة بين المسلمين جميعا ، وقد شرع فيه وفي غيره من المساجد الانقطاع إلى العبادة والتفرغ لها ، ومن نذر الاعتكاف وجب عليه الوفاء به ، ولزمه مدة الاعتكاف عدم مغادرة المكان إلا لضرورة يعود بعدها . وعدم مباشرة النساء قال تعالى : ﴿ ... ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾ البقرة/١٨٧ ، وقد كان المشركون ، كما وصفهم الله تعالى ﴿ يعكفون على أصنام لهم ﴾ الأعراف/١٣٨ مقيمين حولها ، مقبلين عليها ، ومواظبين ، لا يصرفون عنها وجوههم . فذلك من ملازمة الشيء ،

ملازمة تامة ، كاملة ، بدافع عقدي راسخ ، أو لانجاز عمل فكري ، أو يدوي في وقت قياسي ، عكف عليه وانقطع عما سواه ، حتى انجازه .

ويأتي الاختفاء ، والتواري ، والانزواء ، والاكنتان بمدلول متقارب للتعبير عن التستر . فمن اختفى فقد تواري ، ومن تواري فقد انزوى ، ومن انزوى فقد اكن . فالذي يختفي عن أعين الناس يكون قد ستر نفسه في بيته ، أو في مكان من الأرض عن غيره . ومن هم بأمر بينه وبين نفسه فقد اخفى وستر ذلك الأمر عن غيره من مخلوقات الله ، قال تعالى : ﴿ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ﴾ طه / ٧ . فالسر هو الكلام الخفي ، وما تخفيه نفوس البشر بعضهم عن بعض ، والأخفى ما لا يمكن أن يعلمه البشر من معلومات الله جل وعلا (٣١) .

والتواري تستر واختفاء ، قال تعال واصفا حال الجاهلي عندما يبشر بمولودة أنثى : ﴿ يتواری من القوم من سوء ما بُشِّر به ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون ﴾ النحل / ٥٩ . فالخجل من إنجاب الأنثى ، شعور بالنقص ، وخوف من المستقبل ، وهي عوامل دفعت مثل ذاك الجاهلي إلى التواري عن أعين الناس ، وأصبح في حيرة من أمره ، أبقى على ابنته من منطلق الأبوة ، والشفقة ، فيستحق من جهلاء قومه السب ، والهوان ؟ أم يعمد إلى إحماد أنفاسها تحت التراب ، ليرضي بذلك وهمه ، وسوء ظنه ، ويهرب من مسئولية تربيته ، ورعايتها ؟ فمن ضعف أمام اتخاذ موقف محدد بين أمرين متناقضين في نفسه ، كان التواري ، والتستر ، والاختفاء سمة من سمات سلوكه .

وجاء معنى الهجر في القرآن الكريم على معان مختلفة ، وإن كان في مدلوله العام ينص على نوع من التباعد ، والتأني ، والانقطاع عما كان يعايشه الإنسان ، تختلف درجته باختلاف الدوافع والأسباب التي دعت إليه . وقد أمر الله رسوله بهجر الرجز من عبادة الأوثان ، وغيرها من الذنوب . وأن يثبت عل هجره لها لأنه كان بريئا (٣٢) . قال تعالى : ﴿ يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر ... ﴾ المدثر ١-٤ .

وفي معرض إرشاده - صلى الله عليه وسلم - لأمثل الطرق في معالجة قومه ، والصبر على سوء أفعالهم من شرك وغيره ، بين تعالى لنبية أسلوبا بليغا يجعله يسمع قومه ما أوحى الله إليه ، وهو بعيد عنهم لا يخالطهم شركهم ، ليظهر لهم عدم الرضى بما يفعلون ، ويشعرهم بصدق دعوته إليهم ، فيرونه قريبا منهم يتلو القرآن ويقيم الصلاة ، ويرون من أخلاقه وسيرته ما يجنون أن يجاوه فيه ، فيبقى في نظرهم - رغم مخالفتهم له - مثالا حيا للقيم الإنسانية السامية ، والأخلاق العالية ، مما ينعكس عليهم إيجاباً في قبولهم لدعوته ، قال تعالى : ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلاً ﴾ المزمل / ١٠ فاهجر الجميل هو ما يشعر بعدم الرضى من الهاجر للمهجورين مع استمرار نوع من الصلة بينهما للابقاء على نوع من الحوار .

وفيما يتعلق بحكم شرعي يأتي بالهجر بوصفه إجراء مؤقتا يجعل لصاحب الحاجة الحق في البعد والانقطاع عن معاشرة زوجه ليؤدبها عن ترفعها عليه ، وليشعرها أهمية الرفاق بينهما ، والاندماج ، قال تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم ،

فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللآتي تخافون تُشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ، إن الله كان علياً كبيراً ﴿ النساء / ٣٤ .

وقد أطلق الله على الذين اهتدوا من أهل مكة ، وآمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم في بدايتها ، وأسقطوا حقهم في أكثر أموالهم بمكة ، وآثروا فراق ديارهم ، ومن يجبون من أهلهم وأقاربهم ، ونجوا بدينهم عن الفتنة ، وانتقلوا إلى يثرب ، أرضاً لم يطأها أكثرهم من قبل ، تختلف تضاريسها ، ومجتمعها ، وعاداتها عما ألفوه في مكة ، أطلق عليهم اسم المهاجرين ، قال تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ التوبة / ١٠٠ . فبعد أن ابتعدوا بقلوبهم وأحاسيسهم عن المشركين نأوا بعد ذلك بأجسادهم إلى موطن غير موطنهم ، فقطعوا بذلك صلتهم بالمشركين في مكة ، مشكلين نواة الأمة الإسلامية مع من سبقهم من أهل المدينة الذين عرفوا في الإسلام بالأنصار ، لناصرتهم نبيه صلى الله عليه وسلم في فجر دعوته . وبعد فتح مكة على يد المسلمين قال صلى الله عليه وسلم : (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) (٣٣) ، فانقطعت الهجرة بانقطاع أسبابها . وقد عرفها العلماء بأنها الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ، إذا لم يستطع المسلم القيام بما شرع الله له ، وفرض عليه من أمور العبادة في بلده ، فتكون بذلك مستمرة على مستوى الفرد أو الجماعات الصغيرة المضطهدة ، ويقع عبء حماية المسلمين المضطهدين على أمة الإسلام عامة ، بإعلان الجهاد وتحرير المسلمين . وليس أوضح في ذلك من منع المسلم

من هجر أخيه المسلم فوق ثلاثة أيام . فالأولى شرعت للإبقاء على مبدأ التوحيد في نفس المضطهدين ، ولكي لا يضعف أمام جبروت الظالمين ، فترد عن دينه . والثانية حظرت للإبقاء على صلة الأخوة الإيمانية بين المسلمين ، ولكي لا تصدأ قلوبهما فيستمرتان القطيعة ، ويستفدان المحبة فيهما .

وجاء طلب الابتعاد والنأي من أب لابنه حلا لما بينهما من تباين في الفكر والمعتقد ، وكان كل منهما يصر على موقفه ، ومسألة التعايش بينهما مستحيلة ، قال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً إذ قال لأبيه يا أبتِ لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجنك واهجرني ملياً ﴾ مريم ٤١-٤٦ . فجاء الابتعاد والنأي حلا وسطا يحفظ لكلا الطرفين كرامته ، ولا كرامة حقيقية لغير المؤمن .

ومن مرادفات العزلة : الحجاب :

والحجاب ما يستر ، ويحجب الرؤيا من المناظرين إلى المحجوب ، فمن اتخذ لنفسه حجبا عن الآخرين أصبح في معزل عنهم بشخصه ، ولكن يمكن أن يشارك غيره الرأي والمشورة دون أن يراه أو يختلط به . ولما كان للمرأة وضعها الخاص من حيث تطلع الرجال إليها ، وما وضع الله في قلوب بعضهم لبعض من ميل فطري نحو الآخر ، منع الشارع رؤية الأجنبي لها ، أو التحدث إليها إلا من وراء ساتر ، قطعاً لكيد الشيطان ، ومنعا خيلة من حيله ليوقع المؤمن في شيء من الخطور عليه ، قال تعالى : ﴿ وإذا سألتهم عن متاعا فسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ... ﴾ الأحزاب / ٥٣ . ومسألة حجاب

المرأة عند غير محارمها من المسائل التي تميز بها التشريع الإسلامي عن غيره ، إذ قد تحقق أن حاسة البصر من أهم ، وأقوى وسائل الإنسان لتصوير حقيقة ما ينوي القيام به نحو غيره ، ويبعث من إرادته نحو تحقيق الهدف شكل الإصرار والتصميم ، وبالنظر يحقق الخطوة الأولى نحو هدفه لذلك نجد أن عظمة التشريع الإسلامي تكمن في دقة اختيار الألفاظ بحيث يأتي بالعبرة الجامعة المانعة ، فكلمة ﴿ لا تقربوا الزنا ﴾ الإسراء / ٣٢ أبلغ وأشمل وأمنع من كلمة لا تزنوا ، فقد نهى عن كل ما يقرب إلى الزنا قبل الوقوع فيه ، وعلى رأس ذلك تأتي حاسة النظر في الأغلب العام .

وتأتي كلمة كتن ، والكن - بكسر الكاف وتشديد النون - وأكنان بمعنى السِترَة قال تعالى ممتنا على عباده : ﴿ وجعل لكم من الجبال أكنانا ﴾ النحل / ٨١ ، فإذا احتجب الإنسان أو اكتن فقد تواري عن أعين الناس ، وأصبح له شأن يغنيه عنهم ، والأسباب لذلك تتلون بتلون نوع الإنسان وحاله. ولزوم البيت أو المكان والاستقرار فيه ترك ما سواهما وذلك يدل على ثبات الإنسان ودوام وجوده فيه ، وأنه يقتصر في علاقته بمن في البيت أو المكان ، فقد يكون لمرض نفسي أو عضوي ، أو يكون عقاباً فيسمى الإقامة الجبرية ، أو يكون لغرض التفرغ لعمل ما .

وقد أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، والخطاب لنساء المؤمنين أيضاً بلزوم بيوتهن ، والاستقرار فيها تجنباً لطمع مرضى القلوب فيهن ، ففي ذلك صيانة لهن واستجلاء لمكانتهن في المجتمع بما لهن من صفات عن غيرهن من النساء، وتوجب عليهن تبعات كبيرة نحو البشرية قال تعالى : ﴿ يا نساء النبي

لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض
وقلن قولاً معروفاً ، وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن
الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت ويطهركم تطهيراً واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة
إن الله كان لطيفاً خبيراً ﴿ الأحزاب / ٣٢-٣٤ .

والرهبانية ، والزهب : الانقطاع لغرض العبادة . وهي سلوك ابتدعه
بعض أتباع عيسى بن مريم عليه السلام ، فهجروا ملذات الحياة المباحة ،
وعطلوا سنة من سنن الله في الكون وهي سنة التزاوج ، ظناً منهم أن ذلك
يقربهم إلى الطاعة ويبعدهم عن مجال المعصية . وقد عرف العباد منهم
والقائمون على شئون الكنائس بالرهبان والقساوسة . وأصل الرهبانية من
الرهبه - أي الخشية والخوف - ثم صار اسماً لما فضل عن المقدار (٣٥) ،
وأقرط فيه . قال تعالى : ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى بن
مريم وآتيناه الإنجيل ، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ، ورهبانية
ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا
الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون ﴿ الحديد / ٢٧ . وقد أشار
صلى الله عليه وسلم إلى (أن لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في
سبيل الله) (٣٦) .

فتبين أن الرهبانية تعني التفرغ والانقطاع لغرض ما ، فمارسها غير
المسلمين فيما يخالف الفطرة السليمة ، ويصطدم مع الغرائز . ومارسها
المسلمون في أمر يتطلب المراقبة ، ومواصلة التدريب ، ومراقبة العدو ، لصد

كيدته ، ودحره وهم لا يجرمون على أنفسهم ما لذ ، وطاب إلا ما حرمه الله في القرآن ، أو على لسان نبيه ، صلى الله عليه وسلم في أثناء ذلك الانقطاع ، والتفرغ لغرض الجهاد في سبيل الله . وقد يكون بين الرهبانية والاعتكاف وجه شبه من ناحية الانقطاع ، والتفرغ للعبادة ، وترويض النفس على التقليل من طلب الملذات ، والصبر على تحقيق هدف المؤمن من إيمانه ، بالتقرب إلى خالقه بالدعاء ، والذكر . غير أن الرهبانية غلب على مفهومها عند أصحابها معنى القهر للنفس في إشباع بعض غرائزها ، كالغريزة الجنسية . فهم يرون الاقتران بالمرأة بهدف الزواج ، نوعاً من اللذة التي تصرف الراهب عن عبادته ، أو يقلل من فرص تقربه إلى ربه . ولكن عندما تطغى هذه الغريزة - كشأن الغرائز الرئيسة الأخرى - فإنهم يلجأون إلى إشباعها بطرق معوجة ، يعزبها الظلم للنفس ، وللآخرين . وهذا شأن الرهبان ، والقسس ما عاشوا ، زاعمين أن ذلك من شريعة عيسى عليه السلام . أما الاعتكاف فسنة للمسلمين ، ينقطع خلاله المسلم عما ألفت من ملذات مباحة ، ويتفرغ لعبادة ربه ، بالإكثار من النوافل ، وتلاوة القرآن ، والدعاء ، مدة يحددها هو بنفسه ، يحق له بعدها العود إلى ما ألفت من مباحات في حياته ، ومن ذلك معاشرة زوجته .

الفصل الثالث

مفهوم العزلة من السنة وآثار الصحابة ، والتابعين

المبحث الأول

مفهوم العزلة ومرادفاتها من السنة وآثار الصحابة والتابعين

وفي السنة ، كما في القرآن ، وردت كلمة (العزلة) بمعابر مختلفة :
منها ما يتعلق بالسلوك العام للأمة الإسلامية ، وفق تشريع من الله ، كاعتزال
النساء في الحيض ، واعتزال المعتكف لمن مدة اعتكافه . روى البخاري بسنده
عن عائشة قولها (٣٧) :

" كانت إحدانا ، إذا كانت حائضا ، فأراد رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يباشرها أمرها أن تنزر في فور حيضها ثم يباشرها " . فهذا دليل من
السنة على أن الرجل لا يتجنب من زوجه - وقت حيضها - إلا مكان الحيض
منها ، وذلك خلاف ما كانت عليه الأمم السابقة للإسلام .

روى مسلم (٣٨) ، وأبو داود (٣٩) ، من حديث أنس أن اليهود
كانوا إذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت ، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فنزلت الآية ﴿ ويسألونك عن الحيض ، قل هو أذى فاعتزلوا النساء
في الحيض .. ﴾ فقال : " اصنعوا كل شيء إلا النكاح " فأنكرت اليهود ذلك ،
فجاء أسيد بن حضير ، وعباد بن بشر فقالا : يا رسول الله ألا نجتمعهن في
الحيض ؟ - يعني خلافا لليهود - فلم يأذن في ذلك . وكذلك الرجل يتجنب
معاشرة زوجته ، تأديبا لها بعد موعظتها إن خاف نشوزها ، أو أراد إصلاح ما

اعوج من سلوكها، قال تعالى : ﴿ وَاللّٰتِي خَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ،
وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾ النساء / ٣٤ .

والرسول صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه مدة شهر عندما أكثرن
عليه السؤال ، وظهرت بينهن علامات الغيرة عليه ، وانفرد بنفسه - صلى الله
عليه وسلم - في مشربة له . ولم يكن ذلك طلاقا كما توهم بعض المسلمين
حينذاك (٤٠) .

والعاكفون في المساجد للتقرب إلى الله بالذكر ، والصلاة ، وتلاوة
القرآن ، منعوا عن مباشرة النساء في أثناء ذلك في قوله تعالى ﴿ ... وَلَا
تَبَاسِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ البقرة / ١٨٧ ، وقد كان لأحدنا الحق
المطلق في التمتع بزوجه أنى شاء في قوله تعالى : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَاتُوا
حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ... ﴾ البقرة (٢٢٢) ، مما يدل على أن تجنب الرجل امرأته
كان بسبب دخوله في الاعتكاف ، كما هو الأمر للمحرم وقد دخل في
النسك، فإن مباشرة النساء قبل إتمامه تفسده ^(١) . فالاعتزال فيما مضى جاء
بمعنى المفارقة المؤقتة للشيء مع الإبقاء على أصول العلاقة ، وضوابطها بين
الطرفين ، لتعود بعد زوال السبب بينهما طبيعية كما كانت .

ومما جاء في السنة من معان مختلفة للعزلة ما يتعلق بالسلوك الخاص من
المؤمن أوله . فعلى الأول ما روى البخاري (٤١) في صحيحه من قول النبي
صلى الله عليه وسلم : " يهلك الناس هذا الحي من قريش " قالوا : فما تأمرنا ؟
قال : " لو أن الناس اعتزلوهم " .

^(١) قبل التحلل الأول

قال ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري (٤٢) : قوله : " لو أن الناس اعتزلوهم " محذوف الجواب ، وتقديره لكان أولى بهم . ويحتمل أن تكون (لو) للتمني ، فلا تحتاج إلى تقدير الجواب . وقال : والمراد باعتزالهم أن لا يداخلوهم " ولا يقاتلوا معهم ، ويفروا بدينهم من الفتن . قال : ويؤخذ من هذا الحديث استحباب هجران البلدة التي يقع فيها إظهار المعصية . أ.هـ

فجاءت العزلة بمعنى المفارقة ، والمقاطعة التامة الدائمة من المؤمن لأولئك النفر من قريش وأمثالهم ممن يتسببون في إهلاك الناس ، بما يرتكبون من معاصي ، أو يأتون من منكرات في القول أو العمل . فمفارقتهم جاءت موقفا حاسما قويا من بقية أفراد المؤمنين ، ورادعا مانعا من تفشي المعاصي والمنكرات بينهم ، وهكذا يحسن أن يكون موقف المؤمنين حيال كل فرد أو جماعة تخرج عن منهج السلف الصالح في عبادتها ، وسلوكها ، وتأتي بما لم يأت به الأولون .

وروى البخاري - أيضا - (٤٣) في صحيحه عن حذيفة بن اليمان ، وقد حذره الرسول صلى الله عليه وسلم ففتنة قوم يهدون بغير هدية قال : قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : " تلزم جماعة المسلمين وإمامهم " قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : " فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك " .

وهنا يتبين موقف الفرد من الجماعة ، والقلة مع الكثرة فرارا بدينه من الفتن ، وقد ضعف سلطانه ، وقلت حيلته ، وقد صوره الحديث كالجريح من الوحوش عندما يقيد الجرح ، ويقعد به الضعف ، فإنه ينشب أنيابه في أصل شجرة أو غيرها ، يستعين بذلك على استفراغ شدة ألمه ، ويقوي على مواجهة

الموت . والفتنة كالنار كلما كثر وقودها ازداد سعيرها . وليس يجد من انتشار الفتنة سوى تجنب دواعيها ، والأخذ بأسباب تلافئها ، بالابتعاد عن مواطنها . وما التصدي لها - تأييدا ، أو مناوأة - الا وقودا يزيد في اشتعالها ، وانتشارها . وعلى الثاني ما رواه أبو داود (٤٤) ، والترمذي (٤٥) بسنديهما إلى أبي ثعلبة الخشني أنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ... ﴾ المائدة / ١٠٥ فقال : ﴿ بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بنفسك ، ودع عنك العوام " .

فهذا الحديث وأمثاله أعطى للمؤمن سلما تشريعا يتدرج من خلاله في مجال علاقته بإخوانه المؤمنين ، ولم يأذن له بمفارقة غيره ، إلا عند طغيان الشعور بحب الدنيا ، واستبداد الهوى والنفس والشيطان بالمسلم ، تسيره سيرا حثيثا في أغراضها ، فلم يعد ينفع معه نصح ، ولا تجدي معه مخالطة .

فدله - صلى الله عليه وسلم - على الاقتصار في جهاده على نفسه ، يحفظ عليها إيمانها ، ويرسخ تعلقها بربها خوفا ، ورجاء . فإن تكوّن في المجتمع عدد من هؤلاء فإنهم يشكلون نواة الأمة التي على الحق . ومثله ما رواه البخاري في صحيحه بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله : " يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم ، يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن " (٤٦) .

هذا السلوك من الإنسان المسلم في ذلك الزمان ، إنما هو إجراء وقائي لحماية نفسه من أن تضعف ، وتختل فيها ضوابط الاستقامة ، والقدرة على قهر النفس في مجال الطاعة . وهو معني قبل ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومحاولة الإصلاح ما استطاع ، خاصة إذا كان من الذين يملكون التأثير على غيرهم قولاً وعملاً .

المبحث الثاني : مرادفات العزلة

منها الحجاب ، والأصل فيه أن جسم حائل بين جسدين (٤٧) . فمن اتخذ لنفسه سترًا عن الآخرين ، فقد احتجب عنهم . فعندما تستتر المرأة عن الأجنبي بخمار أو نحوه ، فإن دواعي النظر إليها تنعدم أو تقل كثيرا ، فيتحقق الفصل العملي بين النوعين ، فتتحسر - أو تكاد - موجة الطغيان على العقل من الدوافع الغريزية ، وحينئذ يتحقق قول الله عز وجل ﴿... ولا تقربوا الزنا...﴾ الآية الإسراء / ٣٢

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يا رسول الله ، لو أمرت نساءك أن يتحجبن ، فإنه يكلمهن البرّ ، والفاجر ، فنزلت آية الحجاب (٤٨) ، وقريب من هذا المعنى يأتي معنى الاختفاء ، والتواري ، والخلوة ، ولزوم البيت أو المكان ، والاتزواء .

قال ابن عباس ، نزل قوله تعالى : ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ الإسراء / ١١٠ ورسول الله صلى الله عليه وسلم محتف بمكة (٤٩) . وفي رواية متوار بمكة (٥٠) ووصفته عائشة قبل بعثته - صلى الله عليه وسلم - بقولها : وحب إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو (٥١) .

وللبخاري ، ثم حيب إليه الخلاء (٥٢) فاخترناه - صلى الله عليه وسلم - بمكة المكرمة كان في بدء بعثته وأول الإسلام ، عندما كان للمشركين سلطان وسيطرة ، وكان المسلمون أفرادا مستضعفين يخشون أن يتخطفهم الناس ، فتواري - صلى الله عليه وسلم - بالمؤمنين عن أعين المشركين لكي لا يلحقوا بهم الأذى .

والخلة ساعدته - صلى الله عليه وسلم - ومكنته ، قبل نزول الوحي إليه ، من تأمل ملكوت الله ، والتفكر في عظمته جل وعلا ، فكان يقضي الليالي ذوات العدد في غار حراء ، مستقبلا البيت الحرام ، قد همته أمر قومه عبدة الأوثان ، وقد قوضوا دين أبيه إبراهيم عليه السلام ، وهو لا يملك الوسيلة هدايتهم ، ولا الطريقة لدعوتهم ، وقد وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ وكذلك أوحينا إليك رُوحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا تهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ الشورى / ٥٢ ، وكذلك شأن من همه أمر من الأمور ، وبين يديه من الحلول ما يحتاج معه إلى تصنيف ، وتأليف ، واختيار ، فيخلو بنفسه بعيدا عن دواعي الضوضاء ، ليسترسل في تفكيره العميق ، وتدبره الشامل .

ولزوم البيت أو المكان لا يبعد عن معنى الخلة في المدلول والهدف ، غير أنه يتأكد ويصبح ضروريا للفرد المسلم ، أو الجماعة المحدودة ، عند فقد القادرين على الإصلاح ، وفق مفهوم شرعي صحيح ، زمام الأمور في المجتمع ، فيظفر عليه من ليس أهلا للدراية والمعرفة الخيرة ، ولا يصلح أن يكون أنموذجا

حيا يقتدى به ، فقد فقد كثيراً من مقومات الأخلاق الإسلامية بسبب جهله ،
وبعده عن مواطن المعرفة الصحيحة لأمر دينه .

روى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا رأيتم الناس قد مرجت عهدهم ، وخفت أماناتهم ، وكانوا هكذا " -
وشبك بين أصابعه - فقلت إليه فقلت : كيف أفعل عند ذلك ، جعلني الله
فداك ؟ قال : " الزم بيتك وأملك عليك لسانك ، وخذ بما تعرف ودع ما
تنكر ، وعليك بأمر خاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة (٥٣) " فلزوم
البيت والحالة تلك ينجي المؤمن من فتن كثيرة ، تهدد دينه ، ونفسه ، وليجعل
من همه حفظ لسانه عن الخوض في الأعراض ، وأن لا يشرع لنفسه غير ما
يعرف من دينه ، وشريعته ، ويحذر كل الحذر مما ينكر من أقوال ، وأفعال
ينسبها المغرضون إلى الدين ، وليست من الدين . ثم عليه الاهتمام بخاصة
نفسه ، فلا يجرب عليها الكذب ، ولا النفاق ، ولا الغدر ، ولا الرياء ، فيقوم
على تربية ولده ، ونصح أهله ، بما يفعله ، أو يقوله .

وتأتي الوحدة مفهوماً للعزلة - تخضع لعواملها ، وأسبابها في الإطار
العام - عند تجنب مخالطة الناس ، والانفراد عنهم ، سلوكاً تلقائياً من المسلم ،
أو مقصوداً منه عند شعوره بالإحباط الشديد لأي سبب من الأسباب ، أو
لرغبته في الانفراد ، والتفرغ لإنجاز عمل ما ، في هذه الحالة تكون وحدته
مؤقتة ، يعود بعدها إلى طبيعة سلوكه الاجتماعي . أما إذا دفع إلى الوحدة دفعا
- كعقوبة له ، أو عند كثرة ما يراه ، ويسمعه مما يخالف ما يعرفه من أمور
الدين ، عندها سيخضع لتطبيع نفسه على الانفراد .

روى البخاري في صحيحه (٥٤) عن أبي سعيد الخدري قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أي الناس خير ؟ قال : " رجل جاهد بنفسه ، وماله ، ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ، ويدع الناس من شره " .

ووضع البخاري لهذا الحديث عنواناً نصه ، العزلة راحة من خلاط السوء ، فكأنه يشير إلى بعض مزايا العزلة .

قال الخطابي : " ما من أحد جالس الناس في هذا الزمان ، وعاشرهم ، الا قلّت سلامته من الغيبة ، وقال : ولو لم يكن في العزلة إلا السلامة من آفة الرياء ، والتصنع للناس ، واستعمال المداهنة معهم ، لكان في ذلك ما يرغب في العزلة " (٥٥) .

قال أبو سعيد الخدري سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال ، ومواضع القطر ، يفر يدينه من القتل (٥٦) " قال ابن حجر في الفتح : لفظه هنا صريح في أن المراد ببحيرية العزلة أن تقع في آخر الزمان ، وأما زمانه صلى الله عليه وسلم فكان الجهاد مطلوباً حتى كان يجب على الأعيان إذا خرج الرسول صلى الله عليه وسلم غازياً أن يخرج معه إلا من كان معذوراً . وأما من بعده فيختلف ذلك باختلاف الأحوال . أ.هـ (٥٧) .

أقول هذا الحديث وما يشابهه يدل على أن سلوك العزلة من المسلم الملتزم سيكون أمراً محققاً في وقت تكثير فيه الفتن ، والمراد بالفتن الابتلاء ، والامتحان ، والاختبار . قال ابن الأعرابي : الفتنة الاختبار ، والفتنة المحنة ،

والفتنة المال ، والفتنة الأولاد ، والفتنة الكفر ، والفتنة اختلاف الناس بالآراء .
وقيل : الفتنة الضلال والإثم (٥٨) .

وهي علاج ناجح لكثير من الأمراض الاجتماعية ، بعد نفاذ القدرة
على الإصلاح من القادرين على التوجيه والإرشاد .

والعزلة سلوك قد يلجأ إليها غير راغب بها ردة فعل تلقائي حيال أمر
معين غير مألوف في شريعته ، يراه مخالفا لنصوص صريحة ، أو مواقف محددة ،
وليس قادرا على التعايش مع مخالفه ، ولا يملك وسيلة للإصلاح تحقق هدفه .
وليس أشق على المصلح ، الذي يعتمد منهجا شرعيا في دعوته إلى الإصلاح ،
من أن يجد نفسه بدون سلطان ، بينما يجد عدوه قويا ، قادرا ، ممتعا . والعامّة
لا يهتدون - غالبا - إلى الخير إلا إذا عايشوا ما يوجب دعوتهم إليه . فيعزّي
المصلح حالة من اليأس ، وشيء من الخوف على نفسه ودينه . وفي سيرة بعض
السلف الصالح من أمتنا الإسلامية ، نلمس صورا من العزلة تتجسد في غط
سلوكهم عند نشوب الصراعات وأولئك هم ذوو الفقه ، والدراية ،
مسترشدين بهدي نبيهم - صلى الله عليه وسلم - إلى خير السبل لتجنب
الفتن ، وعدم إذكاء نارها بالمشاركة فيها أو تأييدها . قال الخطابي : " والعزلة
عند الفتنة سنة الأنبياء ، وعصمة الأولياء وسيرة الحكماء (٥٩) . من تلك
الصور موقف سعد بن أبي وقاص من النزاع الذي نشب بين علي بن أبي طالب
ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم حول مسألة الخلافة بعد مقتل عثمان
ابن عفان رضي الله عنه .

قال سعد لابنه عامر عندما استتهضه للأخذ بنصيب من الزعامة :
اسكت يا بني ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الله
يحب العبد التقي ، الغني ، الخفي " (٦٠) .

تقي فيما بينه وبين ربه ، وغني بما عنده من علم ومال ، وخفي عند
أدائه ما يتقرب به إلى ربه من نوافل ، وأعمال صالحة ، لتلايخالطها الرياء ،
فيحبط العمل ، ويسلم من تحمل أوزار غيره عند الخوض في أعراضهم ، من
غيبية ، أو نغمة .

وعبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عرف عنه حرصه الشديد في
اقتفاء أثر الرسول صلى الله عليه وسلم في القول والعمل . وكان شديد الخدر
من الوقوع في الفتن . ويتضح ذلك جليا في موقفه من فتنة الحجاج بن يوسف
الثقفي مع عبد الله بن الزبير ، فقد كان محايدا ، غير أنه لم يفرط في حضور
جماعة الصلاة حيث يؤذن لها مع ابن الزبير ، فإن فاتته وسمع مؤذن الحجاج
انطلق فصلّي معه ، فسئل عن ذلك فقال : إذا دعونا إلى الله أجبناهم ، وإذا
دعونا إلى الشيطان تركناهم . وكان ينهى ابن الزبير عن طلب الخلافة والتعرض
لها (٦١) .

وفي أثر عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال : " خذوا
حظكم من العزلة " (٦٢) . والحظ النصيب ، فكأنه يقول : لكل مسلم نصيب
في العزلة ، فليأخذ نصيبه منها ، ولا يفرط فيه . فعندما يخلو الإنسان بنفسه
يراجعها ، ويحاسبها بعيدا عن المؤثرات الاجتماعية ، والضعوط المادية ، فإن هذا
سبيل إلى إصلاحها ، وتقويم ما اعوج منها . فالنفس بالتعهد ، والرعاية ،

تصلح وتستقيم . وما تركها ، واتباع هواها ، إلا نوع من القصور في الفهم ، والإدراك لدى صاحبها ، قال تعالى : ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ، إلا ما رحم ربي ، إن ربي غفور رحيم ﴾ يوسف / ٥٣ .

ونسب إلى محمد بن سيرين ، وهو من التابعين قوله : " العزلة عبادة " (٦٣) ، على اعتبار أن من اعتزل الناس مخافة الوقوع في أعراضهم أو أكل أموالهم بالباطل ، أو عدم القيام بما يجب عليه نحوهم من صلة ونحوها ، كمن تقرب إلى الله بترك المعاصي ، فكلاهما قد انقاد ، وخضع لله تعالى ، واتبع رضوانه .

الفصل الرابع

العزلة الشرعية وضوابطها

المبحث الأول : المفهوم الشرعي للعزلة

لعل من أهم الأسس التي يقوم عليها المفهوم الشرعي للعزلة هي مكانة المعتزل في المجتمع ، وتأثير اعتزاله على نفسه وغيره ، على المدى البعيد ، والقريب .

فالعزلة الفردية تختلف نتائجها وتأثيراتها على الآخرين باختلاف شخصية المعتزل نفسه ، ومكانته الاجتماعية ، فكرا ، وسلوكا . وعلى ضوء ذلك يمكن تصنيف الذين يميلون إلى حب الاعتزال ، أو يضطرون إليه ، وفق أهمية مواقعهم في مجتمعهم ، من حيث القدرة على التأثير ، وتحقيق المنافع لغيرهم ، ومن ثم تفصيل المفهوم الشرعي على عزلتهم .

فعزلة ذي السلطان - مثلا - عن رعيته تضر بمصالحهم المختلفة ضررا بالغا ، ومخلا يظهر في طريقة معالجتها ، وتصريفها ، ويؤخر في وقت إنجازها . ويكون سببا في فقدان تلمس الحاجة ، وتحقيق الصالح العام ، وإعطاء فرصة للمعرضين لكي يحققوا أهدافهم . وكثيرا ما يحيط بذوي السلطان في عزلته بطائفتان : الأولى تدله إلى الخير . وتحنه عليه ، والأخرى تزين له الشر ، وتدله عليه ، والمعصوم من عصم الله كما جاء في الحديث المرفوع (٦٤) .

ولا يتعرف على حقيقة أحدهما إلا بمعرفة حقيقة الأخرى ، وذلك لا يتأتى بمعزل عن الاختلاط ، ووضع معايير وأنظمة من واقع المجتمع تكفل

للجميع حقوقهم ، وتحد من مكر الماكزين وتلاعيبهم . وأما إذا اعتزل الناس ذا السلطان لأي سبب من الأسباب ، فإنه مؤشر يدل على عدم أهليته بينهم . ففي كلتا الحالتين يكون في اعتزاله ما يضر بالآخرين ، وليس من حقه - وهو على رأس السلطة أن يعتزل الناس ، وليس من وصفه بالعدل والحكمة أن يعتزله . أما مجالسة ذوي السلطان ، والإكثار منها فإنها خلطة قد تدفع إلى الرياء . قيل لابن عمر - رضي الله عنهما - إنا ندخل على سلطاننا فنقول بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا !؟

قال : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦٥) . وقال صلى الله عليه وسلم : " من أتى أبواب السلطان افتتن " (٦٦) .

وقال ابن الوزير (٦٧) :

" يخاف من مخالطة السلطان ، أن يخافه أكثر من خوفه الله ، أو يرجوه أكثر من رجاء الله ، أو يذكره أكثر من ذكر الله تعالى ، أو يشكره ، أو يحبه كذلك . وقال : ويخاف عليه (أي على ذي السلطان) من فتنة الكبر ، والرفع على الناس . أ . هـ .

وقال الخطابي (٦٨) : قال بعض الحكماء :

" إن الذي يحدث للسلطين التيه في أنفسهم ، والإعجاب بآرائهم كثرة ما يسمعون من ثناء الناس عليهم ، ولو أنهم أنصفوهم فصدقوهم عن أنفسهم لأبصروا الحق ، ولم يخف عليهم شيء من أمورهم " أ . هـ .

وقيل : إذا أردت أن تنجو فاجتنب ثلاثاً :

لا تدخلن على السلطان ، ولا تدخلن في وصية ، ولا تحج عن ميت .

والفقيه الذي يحتاجه الناس في بيان الأحكام الشرعية التي تتعلق بشئون حياتهم الخاصة ، والعامّة - وهو مازال قادراً على التوجيه والبيان - لا مسوغ لطلبه الاعتزال ، أو رغبته فيه . فإذا فقدته الناس بينهم ، أو وجدوا في الوصول إليه مشقة ، وعتياً ، نجأو إلى أنصاف المعلمين ، والجهلة من أدعاء العلم والمعرفة ، ومحبي الظهور ، فأفتوهم بعلم ناقص ، يزيد من حيرة السائل ، ويبعده عن التعاليم الشرعية الصحيحة ، فتضيع بذلك السنن ، أو معظمها .

والقوي القادر على التأثير بطريقة أو بأخرى على غيره ، عزلته تضر بالضعفة خاصة ، الذين يلجأون إليه عند حاجتهم . ويقاس على أولئك كل من كان للناس به حاجة من تجار ، وصناع مهرة ، وأطباء وغيرهم ، فبانقطاعهم عن المجتمع يصبح المتطفلون على هذه الأعمال وغيرها أرباباً لها . ويمكن هؤلاء وأمثالهم أن يخالطوا غيرهم بأبدانهم ، ويفارقوهم بقلوبهم إذا رأوا منهم ما يخالف منهجهم الشرعي القويم ، وهذا من باب المداراة (ومداراة الناس صدقة) (٦٩) وعن أبي هريرة " رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس " (٧٠) .

قال الحسن البصري : يقولون المداراة نصف العقل ، وأنا أقول هي العقل كله (٧١) ، قال ابن حجر ، قال ابن بطال : المداراة من أخلاق المؤمنين ، وهي خفض الجناح للناس ، ولين الكلمة ، وتركه الإغلاظ لهم في القول ، وذلك من أقوى أسباب الإلفة . وظن بعضهم أن المداراة هي المداينة

فعلط . لأن المداراة مندوب إليها ، والمداهنة محرمة ، والفرق أن المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه - وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه . والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك أ.هـ (٧٢) .

والعزلة عند أداء العبادات - من تطوع ، ونوافل - سلوك رغب فيه الشارع ، قطعاً لوساوس الشيطان ، وحذراً من وقوع المتعبد في شيء من الرياء، الذي من شأنه إحباط العمل وهو لا يشعر . جاء في الحديث المرفوع : "أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة" (٧٣) .

والذي يعتاد المساجد للصلاة نهي أن يوطن له مكاناً في المسجد (٧٤) يصلي فيه ، ولا يبدله ، يراه المصلون كلما حضروا للصلاة . بل عليه أن لا يألف مكاناً معلوماً من المسجد مخصصاً يصلي فيه ، كالبعير لا يأوي من عطن إلا إلى مبرك دمث قد أوطنه واتخذته مناخاً . وذلك حتى يقطع على الشيطان سبيلاً الإغراء به عند سماعه الإطراء من الناس ، فيسلم من الرياء ، ويخلص العبادة لله وحده .

وقال تعالى في سورة البقرة : ﴿ إِن تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ، وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهُهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ ، وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ البقرة / ٢٧١

فالزكاة صدقة مفروضة ، إن بدت للأخريين فنعما هي ، مثالا ، ودليلا على الرضا ، والاستسلام ، والطواعية من المؤمن لربه ، وليس للمتصدق فضل على المتصدق عليه ولا منة . ونقل الطبري وغيره الإجماع على أن الإعلان في صدقة الفرض أفضل من الإخفاء ، وصدقة التطوع على العكس من ذلك (٧٥) . وأما النافلة من الصدقات فخير أن تؤدى للفقراء والمحتاجين في خفية ، حفاظا على كرامة الفقير من أن يمسه المن ، والأذى من التصدق ، أو التقليل من فرصة الوقوع في الرياء والسمعة . وجاء في الحديث المرفوع " سبعة يظلمهم الله تحت ظلّه يوم لا ظل إلا ظله " وذكر منهم : ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه " (٧٦) فإذا بلغ تحذير المؤمن من الرياء هذا المستوى من الإحاطة ، دل على مدى خطورة الرياء على أعماله التي يتقرب بها إلى الله ، وبالتالي يجب عليه الابتعاد ، والإقلاع عن كل ما من شأنه أن يؤدي ، أو يشير ، أو يوحي بالرياء . وأخصب مجالات ذلك هو مجال الخلطة غير الملتزمة . فالعبادة يجب أن تكون خالصة لله تعالى ، يتقرب بها العبد إليه . والرياء والسمعة من أخطر وسائل الشيطان ، ومن أطفها ، فلا يكاد المؤمن يشعر بهما إلا وقد تلبس بهما . وقد اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم الرياء شركا أصغر (٧٧) . والله تعالى وتقدس لا شريك له البتة . ولا يحسن أن يكون له شريك . ومن أخص ما يتقرب العبد إليه ، إتيانه بما شرع له ، فإن خالط العمل رغبة العامل في الثناء عليه من الآخرين ، يكون قد صرف ذهنه ، أو شيئا منه في التفكير في غير عبادة الله ، واهتم بالمنخوق مع الخالق ، وقد علم أن كل مخلوق يفتقر إلى الخالق في كل شأن من شئون حياته .

وجاء في الحديث " الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي ، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل " (٧٨) .

والخلطة حينئذ تشكل مجالا واسعا يتسلل منه الرياء في العبادة وعمل الخير إلى نفس العابد ، ومع العزلة تنقطع أسباب الرياء أو تكاد ، وليس أحب إلى الأجير عند تمام عمله من نيل أجره تاما .

ومن كان من الأمة صالحا صلاحا ينعكس تأثيره على أهله ومجتمعه ، وكان قدوة لهم في عمل الخير ، يسعى به بينهم ، ويسعى بهم إليه ، وقد أراد الله به خيرا ففقهه في الدين ، سقط حقه في العزلة ، وإن رأى من الناس فسادا في الأخلاق ، وبعدا عن سلوك الاستقامة وتقاعسا عن أداء الفرائض ، والواجبات ، فهذه أمور تتطلب مضاعفة الجهد ، لا الفرار ومفارقة الفرد للفرد . فالإناء لا يبقى فارغا ، والاجتمع إناء الأمة ، فإذا فرغ من الصالحين ، أو كان عددهم في تناقص ، تحول إلى بؤرة فساد ، وكرر رذيلة ، وامتلا بالمفسدين في الأرض ، وبرز فيه على رأس السلطة التنفيذية كل جاهل ، أو شبه جاهل ، لا يفقه في شرع الله شيئا محفوظا ، حتى إذا ستل أفتى بغير علم ، فضل ، وأضل . وذلك شبيه بقبض العلم آخر الزمان ، عند قبض أرواح العلماء حتى " إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسا جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا " (٧٩) .

فالصالحون في المجتمع يشكلون الرادع القوي الذي يحول دون تفشي الجهل ، وبرزو الجهلة في المجتمع ، وتعطيل الحدود والأحكام الشرعية ، فكان حقيقا بالصالحين أن يبقوا جنودا متيقظين في مجتمعاتهم ، يحفظون على الجميع -

يحفظ الله - دينه ، وعقله ، وعرضه ، وماله ، ونفسه . ويكاد لا يختلف اثنان من العقلاء في تفضيل العزلة عند وقوع الفتن ، وما كان دون ذلك من الأمور ، فإن أمرها يختلف باختلاف حال كل فرد " والأحوال تختلف باختلاف الأشخاص ، والأزمان ، ولكل حال مقال " (٨٠) .

وبعد استعراض أكثر جوانب المفهوم الشرعي للعزلة ، يمكن القول بأن العزلة بوصفها سلوكاً فإنها تندرج تحت الأحكام الخمسة .

فتكون واجبة على من يتأذى منه الناس ، ذو السلوك العدواني - والنفس المريضة . والخلق المعوج ، يعمد ولي الأمر إلى عزله عن المجتمع تديباً له وإشعاراً بخطيئته ، فيودعه السجن ، ويقطع عنه سبل اتصاله بأفراد المجتمع مدة يحددها الحاكم . فيجد المحكوم عليه - في السجن - فراغاً يلقه من كل ناحية ، وقد كان حراً طليقاً ، فيسترجع في نفسه ما أدى به إلى هذه العقوبة ، فكان السجن مثقل وضع في كلتا رجليه ، ويديه يمنعه التنقل والحركة إلا بصعوبة بالغة .

وكذا يجب على حامل العدوى ألا يخالط غيره ، إن كان نوع مرضه ينتقل بالمخالطة .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها " (٨١) . ويجب على المؤمن أن يفر بدينه عند وقوع الفتن . جاء في الحديث المرفوع : " يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن " (٨٢) .

وتكون العزلة مستحبة في حق من خلط عملا صالحا وآخر سيئا .
فلكي لا يزداد من السيئات بغيبة أو نغمة عند مخالطته غيره يستحب في حقه
تجنب الجماعات والأفراد إلا في حق أو واجب لهم . ويتفرغ للإكثار من عمل
الحسنات ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ وأما صاحب البدعة فيستحب من
الآخرين هجرانه ، والبعد عن مخالطته حتى يكون ذلك إشعارا له باعوجاج
مسلكه ، فلربما أناب واستقام . وتكون العزلة مباحة كلما احتاج الإنسان من
نفسه الرجوع إلى صفاتها ، ومراجعة أعمالها ، فما كان صالحا يحرص عليه ،
وما كان سيئا يتجنبه ، فيخلو بنفسه بين فترة وأخرى يتأمل بديع صنع الله فيه
ويجدد شكره لله على نعمة الإيمان ، والعافية ، والأمان . ويباح للمؤمن هجر
أخيه فيما لا يزيد على ثلاث (٨٣) . إذا وقعت بينهما مشادة ، حتى يجد كل
منهما الوقت الكافي لاستيعاب أصل الخلاف ومن ثم الوصول إلى حل تظمن
معه نفس كل منهما بعد أن يعودا إلى طبيعتهما السوية .

وتكون العزلة مكروهة من الذي يخشى عليه عند تفرده ، ووحدته ،
الوساوس والتخيلات ، التي تكسبه صفة التشاؤم ، والخوف والشك . فيصبح
مع تماديه في العزلة عضوا غير نافع في المجتمع ، بل قد يكون مصدر إزعاج
لأهله وجيرانه ، فيكره في حقه أن يعتزل الناس ، وينفرد بنفسه ، بل يجب أن
يشجع ويرغب في الاختلاط بغيره لتلاييد الشيطان إليه سبيلا .

وتحرم العزلة ممن يحتاجه الناس في شأن من شئون حياتهم الضرورية
كالفقيه ، والطبيب ، والصانع الماهر من شتى المهن . ففي عزلة هؤلاء وأمثالهم
ما يلحق الضرر بكثير من أفراد المجتمع .

المبحث الثاني : ضوابط العزلة

ومن ضوابط العزلة في المفهوم الشرعي ألا ينقطع المعتزل عن حضور الجمع ، والجماعات حيث ينادى لها . وأن لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذا رأى ما يستجوب ذلك وفق القاعدة المعروفة " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " (٨٤) وأن يرد السلام ، ويحسن الكلام ، ويكف الأذى ، ويعين الملهوف ، ويصل الأرحام .

ويستطيع أحدهم أن يجمع بين فضائل الخلطة ، وبين ما يحقق له ما يجده من راحة نفسية عند الاعتزال ، بأن يخالط غيره بقدر ما يحقق المصلحة المرجوة من الخلطة ، ويقتصر على الأهم من الأمور بما يؤكد انتماءه إلى جماعة المسلمين ، ويقلل من الكلام بعدم الاسترسال فيه ، لئلا يجره ذلك إلى الجدل ، والممارة ، والنيل من الأعراض . ففي العزلة بُعد عن فضول الكلام ، وفيها حفظ للسان من الغيبة ، والنميمة ، وقبيح الكلام . قال تعالى : ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة ، أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ النساء/ ١١٤ .

وقال أحدهم : " لو لم يكن في العزلة أكثر من أنك لا تجد أعوانا على الغيبة لكفى (٨٥) " ، وقال حكيم : " العبادة - أو قال : الحكمة - عشرة أجزاء ، تسعة منها في الصمت ، وواحدة في العزلة ، فأردت نفسي من الصمت على شيء فلم أقدر عليه ، فصرت إلى العزلة فحصلت لي التسعة (٨٦) .

وقال ابن حجر " اختلف السلف في أصل العزلة ، فقال الجمهور ، الاختلاط أولى لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام ،

وتكثر سواد المسلمين ، وإيصال أنواع الخير لهم من إعانة ، وعبادة.. وقال النووي : المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في معصية ، فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى .

قال ابن حجر : إذا تساوى ، فيختلف باختلاف الأحوال . فإن تعارضاً ، اختلف باختلاف الأوقات . فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر ، فيجب عليه إمامنا ، وإما كفاية بحسب الحال والإمكان . ومن يترجح من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ومن يستوي من يأمن على نفسه ، ولكنه يتحقق أنه لا يطاع . وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة ، فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة ، لما ينشأ فيها غالباً من الوقوع في المخدور " (٨٧) .

وقال الخطابي :

" إن العزلة والاختلاط باختلاف متعلقاتهما فتحمل الأدلة الواردة في الحض على الاجتماع على ما يتعلق بطاعة الأئمة ، وأمور الدين ، وعكسها في عكسها . وأما الاجتماع ، والافتراق بالأبدان ، فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشه ، ومحافظة دينه ، فالأولى له الكف عن مخالطة الناس ، بشرط أن يحافظ على الجماعة ، والسلام والرد ، وحقوق المسلمين من العبادة ، وشهود الجنائز ونحو ذلك .

والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحبة لما في ذلك من شغل البال ، وتضييع الوقت عن المهمات ، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغداء ،

فيقتصر منه على ما لا يد له منه ، فهو أروح للبدن ، والقلب ، والله أعلم " (٨٨) .

وقال القشيري في " الرسالة " :

" طريق من آثار العزلة أن يعتقد سلامة الناس من شره ، لا العكس . فإن الأول ينتجه استصغاره نفسه وهي صفة المتواضع ، والثاني شهوده مزية له على غيره ، وهذه صفة التكبر " (٨٩) ولعل مع العزلة يتمكن المسلم من حفظ لسانه عن كل ما يمكن أن يورده الهلاك ، من سيء القول ، والاستطالة في أعراض الناس ، غيبة ، أو نيمة . وهو لا يأمن ذلك إذا خالط غيره ، خاصة السفهاء من الناس . فإن الحديث في غير ذكر الله ، وتلاوة القرآن ، والعلم النافع ، والتفكر ، والتأمل في ملكوت الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يخشى على صاحبه الوقوع في الخذور ، قال صلى الله عليه وسلم : " فهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم " (٩٠) وقال صلى الله عليه وسلم : " إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي بها بالآل يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالآل يهوي بها في جهنم " (٩١) وقال صلى الله عليه وسلم لرجل تنبأ لميت بالجنة " ألا تدري فلعله تكلم فيما لا يعنيه ، أو بخل بما لا ينقصه " (٩٢) . ولما كان المسلم محاسباً لا محالة على كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال ، وجب عليه أن يأخذ جانب الخلد فيما يقول ويفعل . ويزداد عليه عبء المسؤولية كلما كان كثير الغشيان للمجالس ذات الطابع المتساهل في ضبط رغبات النفس وشهواتها . قال الله تعالى ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع ، والبصر ، والفؤاد

كل أولئك كان عنه مسئولا ﴿ الإسراء / ٣٦ فالعزلة - بلا شك - عون للإنسان على حفظ حواسه ، خاصة الذين تغلب عليهم أهواءهم ، وتسيرهم شهواتهم إلى شيء من المعاصي ، ولا يملكون الإرادة اللازمة لدفع مثل تلك الرغبات الجارحة في أعماقهم ، فإذا خلوا بأنفسهم ، وانقطعوا إليها ، فقدوا مقدمات الغواية من سمع ونظر ، فتقرب أفئدتهم من الصفاء ، والطمأنينة .

والمعتزل يفقد دواعي الكذب في الحديث . والخلف في الوعد ، والخيانة في الأمانة لابتعاده عن مظانها ، ودوافعها ، وأسبابها . قال صلى الله عليه وسلم " من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه " (٩٣) قال الصنعاني :

" ينلج فيه ترك التوسع في الدنيا ، وطلب المناصب ، والرياسة ، وحب المحمدة ، والثناء ، وغير ذلك مما لا يحتاج إليه المرء في إصلاح دينه ، وكفايته من دنياه " (٩٤) .

وفي العزلة السلامة من الحسد للآخرين ، والشحناء بعد الخصومات ، ومحقرات الذنوب التي حذر منها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : " إياكم ومحقرات الذنوب فإنها من الله طالبا " (٩٥) وفيها التقليل والحذر من تطلع النفس إلى زينة الدنيا وزهرتها ، والاستشراف لها ، ومنافسة أهلها عليها . قال تعالى هاديا نبيه إلى أحسن الأخلاق ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وأبقى ﴾ طه . ١٣١/

وللمتصوفة نظرة تقوم على الزهد ، والتأمل ، والبعد عن كل ما يشغل
الذهن عن ذكر الله ، وتدبر آياته ، ولولا ما جاء به بعضهم من شطحات
فكرية ، وابداعات فلسفية حمقاء أبعدهم عن الدين القويم إلى نزعات
الشياطين... ، لكان مسلكهم في الحياة الدنيا هو المسلك القويم .

الهوامش

- ١- انظر كتاب العزلة للخطابي تحقيق السواس سنة ١٤٠٧هـ . ص (١١٧).
- ٢- أخرجه البخاري في الإجارة ، باب رعي الغنم على قراريط .
- ٣- انظر كتاب العزلة للخطابي ص ١٢٥ .
- ٤- انظر كتاب العزلة للخطابي ص ١٠ .
- ٥- انظر صحيح البخاري كتاب الرقاق باب رقم ٢٨ ، وصحيح مسلم كتاب اللجنة الحديث الأول .
- ٦- انظر صحيح البخاري كتاب الرقاق باب رقم ١٨ ، وصحيح مسلم كتاب المناقنين الحديث ٧١ .
- ٧- انظر تهذيب اللغة للأزهري (ج ٢ ص ١٣٣) ، وتاج العروس ، ولسان العرب .
- ٨- انظر التعريفات للجرجاني ص ١٥٤ .
- ٩- انظر قاموس علم الاجتماع حرره الدكتور محمد عاطف غيث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٢٥٧ .

- ١٠- انظر موسوعة علم النفس والتحليل النفسي للدكتور : عبد المنعم الحفني ، ط٤ ، مكتبة مدبولي ص ٤١٠ .
- ١١- انظر موسوعة السياسة ص ٣٦٥ تأليف د. عبد الوهاب الكيلاني وغيره . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص ٣٦٥ .
- ١٢- انظر مجلة العربي الكويتية عدد (٤١١) فبراير ١٩٩٣ م .
- ١٣- أخرجه الخطابي في كتاب العزلة بسنده ص ٢٣ .
- ١٤- انظر كتاب العزلة للخطابي ص ٢٥ .
- ١٥- انظر قاموس علم الاجتماع ص ٤٠٢ .
- ١٦- انظر موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ص ٤١٠ .
- ١٧- انظر كتاب الأمثال من الكتاب والسنة تحقيق علي محمد البحاري ، مكتبة دار التراث بالقاهرة ، ص ٣٧ .
- ١٨- انظر كتاب الطب النفسي الدكتور عادل صادق ، ط ٢ ، سنة ١٤١٠ سلسلة كتاب الحرية ، القاهرة ٣٢ .
- ١٩- انظر صحيح البخاري كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون .
- ٢٠- انظر صحيح البخاري كتاب الطب ، باب لا هامة .

- ٢١- انظر صحيح البخاري كتاب الطب ، باب لا هامة .
- ٢٢- انظر موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ص ٤١٠ .
- ٢٣- انظر مجلة العربي الكويتية ، عدد (١٢٨) ، ص ١٣٨ .
- ٢٤- انظر سيرة ابن هشام (٣٣٤/١) .
- ٢٥- انظر صحيح البخاري . كتاب الآذان ، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر .
- ٢٦- انظر صحيح البخاري ، كتاب الحيض ، باب مباشرة الحائض .
- ٢٧- انظر صحيح مسلم ، كتاب الحيض باب ... رقم (١٦) .
- ٢٨- انظر تفسير القرطبي (٨١/٤) ، وجامع البيان (٣٨٣/٤) ، وتفسير القرآن للسمرقندي (٦٣٦/١) .
- ٢٩- انظر الناسخ والمنسوخ لابن العربي ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .
- ٣٠- انظر تهذيب اللغة (٩٨ / ١٤) .
- ٣١- انظر احرر الوجيز لابن عطية ، طبعة قطر ، سنة ١٤٠٩هـ ، (٥/١٠) .
- ٣٢- انظر معجم ألفاظ القرآن . مجمع اللغة العربية .
- ٣٣- انظر صحيح البخاري . كتاب الجهاد . باب فضل الجهاد والسير .

٣٤- انظر صحيح البخاري . كتاب الأدب . باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير .

٣٥- انظر تهذيب اللغة ، للأزهري (٦ / ٢٩٠) .

٣٦- انظر مسند الإمام أحمد ، ٣ / ٢٦٦ ، عن أنس وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٥٥٥ .

٣٧- انظر صحيح البخاري : كتاب الحيض . باب مباشرة الحائض .

٣٨- انظر صحيح مسلم . كتاب الحيض . باب (١٦) .

٣٩- انظر سنن أبي داود ، كتاب الطهارة حديث (١٠٣) .

٤٠- انظر صحيح البخاري . كتاب النكاح . باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها .

٤١- انظر صحيح البخاري . كتاب المناقب . باب علامات النبوة في الإسلام .

٤٢- انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١٣ / ١٠) .

٤٣- انظر صحيح البخاري . كتاب الفتن . باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟

- ٤٤- انظر سنن أبي داود ، كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي .
- ٤٥- سنن الترمذي . تفسير سورة المائدة . وقال : هذا حديث حسن غريب .
- ٤٦- انظر صحيح البخاري . كتاب الرقاق . باب العزلة راحة من خلط
السوء .
- ٤٧- انظر المصباح المنير .
- ٤٨- انظر صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في القبلة .
والمقصود من آية الحجاب هي قوله تعالى ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك
وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ... ﴾ سورة
الأحزاب/٥٩ .
- ٤٩- انظر صحيح البخاري . كتاب التفسير . باب ﴿ وما جعلنا القبلة التي
كنت عليها ... ﴾ البقرة/١٤٣ .
- ٥٠- انظر صحيح البخاري . كتاب التوحيد . باب قول الله تعالى ﴿ أنزله
يعلمه والملائكة يشهدون ﴾ النساء ١٦٦ .
- ٥١- انظر سنن الترمذي ، كتاب المناقب رقم ١٤ .
- ٥٢- انظر صحيح البخاري . كتاب بدء الوحي . الباث الثالث .

- ٥٣- انظر سنن أبي داود . كتاب الملاحم . باب الأمر والنهي رقم (١٧)
وانظر مسند الإمام أحمد (٢/٢١٢) و (٤/١٥٨) و (٥/٢٥٩) .
- ٥٤- انظر صحيح البخاري . كتاب الرقاق . باب العزلة راحة من خلاط
السوء .
- ٥٥- انظر صحيح البخاري . كتاب الرقاق . باب العزلة راحة من خلاط
السوء .
- ٥٦- انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ج ١١/٣٣٢ .
- ٥٧- انظر لسان العرب مادة (فتن) .
- ٥٨- انظر كتاب العزلة للخطابي (ص ١٧) .
- ٥٩- انظر صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق طبعة الحلبي (٤/٢٢٧٧) .
- ٦٠- انظر كتاب العزلة للخطابي ص ٢٦ .
- ٦١- انظر كتاب الرقائق لابن المبارك ...
- ٦٢- انظر كتاب العزلة للخطابي ...
- ٦٣- انظر صحيح البخاري . كتاب الأحكام . باب بطانة الإمام وأهل
مشورته .

- ٦٤- انظر معجم الطبراني الكبير (١٢ / ٣٣١) .
- ٦٥- انظر سنن أبي داود . كتاب الصيد ، باب في اتباع الصيد . وانظر الترمذي . أبواب الوصايا رقم (٦٠) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .
- ٦٦- انظر كتابة الأمر بالعزلة لابن الوزير (ص١٠٨) .
- ٦٧- انظر كتابه العزلة للخطابي (ص١٢٣) .
- ٦٨- رواه الطبراني في المعجم الأوسط عن جابر ، وفيه يوسف بن محمد المنكدر وهو متروك ، وقال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به (انظر مجمع الزوائد ١٧/٨) .
- ٦٩- اخرج البزار بسند ضعيف . انظر كشف الأستار عن زوائد البزار للهيتمي (٣٩٧/٢) . وانظر الطبراني ، حديث رقم (٦٧٠٦٧) كلاهما عن طريق عبد الله بن عمرو القيسي عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة . وانظر مجمع الزوائد (١٧/٨) .
- ٧٠- انظر كتاب العزلة للخطابي ص ١٢٨ .
- ٧١- انظر فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٥٢٨) .

- ٧٢- انظر صحيح البخاري . كتاب الأذان . باب صلاة الليل .
- ٧٣- انظر سنن أبي داود . كتاب الصلاة . باب من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود . وانظر مسند الإمام أحمد ، (٤٥٣، ٣٢٨/٢) و (٤٤٤، ٤٢٨/٣) .
- ٧٤- انظر فتح الباري لابن حجر ، (٢٨٩/٣) .
- ٧٥- انظر صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب صدقة ، السر .
- ٧٦- انظر مسند الإمام أحمد ٤٢٨/٥ . وكشف الخفاء للعجلوني ٥٢٥/١ .
- ٧٧- انظر مسند سنن ابن ماجه . كتاب الزهد . باب الرياء والسمعة . قال البوصيري في الزوائد : هذا إسناد حسن .
- ٧٨- انظر صحيح البخاري . كتاب العلم . باب كيف يقبض العلم ؟
- ٧٩- انظر كتاب سبل السلام للصنعاني (٤/٤٠٧) .
- ٨٠- انظر صحيح البخاري . كتاب الطب . باب ما يذكر في الطاعون .
- ٨١- انظر صحيح البخاري . كتاب الإيمان . باب من الدين الفرار من الفتن .
- ٨٢- انظر صحيح البخاري . كتاب الأدب . باب من ينهي عن التحاسد والتدابير .

- ٨٣- انظر صحيح مسلم . كتاب الإيمان . باب (٧٨) .
- ٨٤- انظر كتابة العزلة للخطابي (ص ٤٠) .
- ٨٥- انظر حلية الأولياء لأبي نعيم (١٤٢/٨) ، وانظر كتاب الصمت لابن أبي الدنيا ص ٣٥ .
- ٨٦- انظر كتابه فتح الباري لابن حجر (٤٣/١٣) .
- ٨٧- انظر كتاب العزلة للخطابي (٣٣) .
- ٨٨- انظر كتاب فتح الباري لابن حجر (٣٣٣/١١) .
- ٨٩- انظر مسند الإمام أحمد (٢٣١/٥) عن معاذ بن جبل . وانظر سنن الترمذي . أبواب الإيمان . باب ما جاء في حرمة الصلاة ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح .
- ٩٠- انظر صحيح البخاري . كتاب الرقاق . باب حفظ اللسان .
- ٩١- أخرجه الترمذي في أبواب الزهد رقم (٢٤١٨) عن أنس ، وقال : هذا حديث غريب .
- ٩٢- الترمذي (٢٣١٧) ، ابن ماجه ٣٩٧٦ .

٩٣- انظر كتاب سبل السلام . (٢٤٣/٤) .

٩٤- أخرجه ابن ماجه (١٤١٧/٢) كتاب الزهد ، ذكر الذنوب ، ح ٤٢٤٢

قال في الزوائد : اسناده صحيح ، رجاله ثقات .

٩٥- أخرجه الترمذي في سننه من أبواب صفة يوم القيامة حديث رقم

(٢٦٢٥) عن شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان شعبة

يرى أنه ابن عمر . انظر مسند الإمام أحمد ٤٣/٢ عن ابن عمر .

٩٦- صححه الحاكم في المستدرک (٣٢٤/٤) ووافقه الذهبي مع أن في إسناده

زافر بن سليمان وهو ضعيف . وانظر مسند الشهاب للقضاعي (١٥١) .

وانظر حلية الأولياء لأبي نعيم (٢٥٣/٣) وقال : غريب .

المصادر والمراجع

اسم المؤلف	عنوان الكتاب	الطبعة	الناشر والمطبعة	سنة النشر
الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الأزهري	الجامع الصحيح	-	رئاسة إدارة البحوث العلمية	١٣٧٩
الأزهري	تهذيب اللغة	-	الدار المصرية للتأليف والترجمة	١٣٨٤هـ
الجزائري	الصريفات	-	مكتبة لبنان	١٩٦٩م
د. محمد عاطف غيث	قاموس علم الاجتماع	-	الهيئة المصرية العامة للكتاب	-
د. عبد المنعم الحفني	موسوعة علم النفس والتحليل النفسي	-	مكتبة مدبولي	-
د. محمد الوهاب الكيلاني وغيره	موسوعة السياسة	-	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	-
تحقيق علي محمد البخاري	الأمثال من الكتاب والسنة	-	مكتبة دار التراث بالقاهرة	-
د. عادل صادق	الطف النفسي	٢	مسلسلة كتاب الحرية القاهرة	١٤١٠هـ
الإمام مسلم بن الحجاج	صحيح مسلم ، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي	-	دار إحياء التراث العربي	١٣٧٤هـ
أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي	الجامع لأحكام القرآن	٣	دار الكتاب العربي للطباعة	١٣٨٧هـ
أبو جعفر محمد بن جرير	جامع البيان عن تأويل آي القرآن	-	دار المعارف بمصر	١٣٧٤هـ

العزلة : الفكرة والتطبيق : للدكتور محمد بن سعد بن عبدالرحمن آل سعود

اسم المؤلف	عنوان الكتاب	الطبعة	الناشر والمطبعة	سنة النشر
الطري	بتحقيق محمود وأحمد شاكر			
السمرقندي	تفسير القرآن			
ابن العربي	الناسخ والمنسوخ			
أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي	اختر الوجيه في تفسير الكتاب العزيز	١	دار العلوم - الدوحة - قطر	١٣٩٨ هـ
مجمع اللغة العربية	معجم ألفاظ القرآن الكريم	-	الهيئة المصرية العامة	١٩٧٣ م
الإمام أحمد بن حنبل	المسند	٢	الكتب الإسلامي بيروت	١٣٩٨
ناصر الدين الألباني	سلسلة الأحاديث الصحيحة		الكتب الإسلامي	١٣٧٨
أبو داود	السنن	١	محمد علي السيد رحص	١٣٨٨
أحمد بن علي بن حجر	فتح الباري شرح صحيح البخاري		المطبعة السلفية	١٣٧٩
الزملي	السنن (وهو الجامع الصحيح)		نشرة المكتبة السلفية بالمدينة	١٣٨٤ هـ
أحمد بن محمد القيومي	المصباح النير		دار المعارف	-
أبو الفضل جمال الدين				
محمد بن مكرم بن منظور	لسان العرب		دار صادر/ دار بيروت	١٣٨٨
عبد الله بن المبارك	الرقائق			
ابن الوزير	الأمر بالعزلة			
الطبراني	المعجم الأوسط	الأولى	مكتبة المعارف الرياض	١٤٠٥
	تحقيق د. محمود الطحان			

اسم المؤلف	عنوان الكتاب	الطبعة	الناشر والمطبعة	سنة النشر
نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي	مجمع الروائد ومبعض القوائد	٢	دار الكتاب بيروت	١٩٦٧م
إسماعيل بن محمد العجلوني	كشف الخفاء ومزيل الإلباس	٣	مؤسسة الرسالة بيروت	١٤٠٣هـ
نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي	كشف الأستار عن زوائد البزار	الأولى	مؤسسة الرسالة بيروت	١٣٩٩
أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري	مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه	٢	الدار العربية للطباعة والنشر - بيروت	١٤٠٣
محمد بن إسماعيل الصنعائي	سبل السلام	٣	دار الكتاب العربي	١٤٠٧
أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء		دار الفكر / المكتبة السلفية	
ابن أبي الدنيا	الصمت			
أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي	العزلة - تحقيق ياسين محمد السواس	الأولى	دار ابن كثير دمشق بيروت	١٤٠٧
عبد الملك بن هشام :	السيرة النبوية	-	دار الفكر للطباعة والنشر	